..وقالت شهرزاد

أكتب لكم من الحرملك

هالة سرحان



دار الشروق

أكتب لكم من الحرملك

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

..وقالت شهرزاد



هالة سرحان

دار الشروق

إلى شهريار الكبير

وإلى شهريار الصغير

عماد الدين أديب ومحمد أديب..

لن أشكركما عن الصدمة

لن أشكركما عن المتعة

لن أشكركما عن الكلام المباح..

وغير المباح

هالة

تقديم

الكتابة الساخرة مجال لم تقتحمه نساء كثيرات بعد.. ولا يحضرنى الآن اسم لامرأة ساخرة فى الأدب المصرى المعاصر ، لقد ظلت النساء على وقارهن واحتشامهن حتى فى الكتابة ..

وهاهى صحفية تقتحم هذا المجال بشقاوة فى سلسلة مقالاتها العمودية فى مجلة « كل الناس » ..

إن هالة سرحان تنقض انقضاضا عموديا على فكرتها فتحطمها بضربة واحدة من كفها الناعم أو الثقيل .. لا أحد يعلم سوى الله ..

ثم بعد ذلك تبدأ فى إعادة تركيب الصورة من جديد ، وهى تجلس

بين أفكارها التى تتواثب حولها كالقرود ، محاولة تنظيم هذا التواثب ، أو اخضاع القرود ، أو الخضوع لها ..

وهى تبدأ الجملة من آخرها وأحيانا من وسطها ونادرا من أولها ، وهى تكتب كما يرسم فنان يبعثر الألوان على لوحته القماشية ثم يقضى وقته فى محاولة إصلاح ما أفسد ..

وخلال هذا كله .. تتضح لك المعانى والأهداف ، وهى معانٍ وأهداف أحيانا تجد فيها وأحيانا تهزل .. وأحيانا تجد فى الهزل وتهزل فى الجد .

ومن هذا المزيج كله تأتى كتابتها بمذاق جديد ليس مألوفا فى كتابات الجنس الناعم ..

وأحيانا تثير كتاباتها الإبتسام ، وأحيانا تثير الحزن الممزوج بإبتسامة وأحيانا تثير الحزن الصريح .

وسوف يبتسم القارىء إبتسامة أقرب إلى الحزن حين يقرأ قصة ركوبها تاكسى فى لندن .. وهو تاكسى كان يقوده سائق باكستانى سألها بفضول عن معنى كلمة حمارة فى اللغة العربية..

سألته : لماذا يسأل ..

قال إنه كان فى حيرة من أمره وهو يحاول اختيار اسم لمولودته الجديدة ..

واقترح عليه أحد الركاب العرب اسم «حمارة» .. فأعجبه وأطلقه

على المسكينة .. وهو لا يعرف معناه .. فما هو معناه ؟

السؤال موجه للست هالة سرحان .. وهو سؤال لم تجب عنه وإن كانت قد نصحت السائق أن يغير اسم ابنته دون تعليق ..

وأحيانا تثير كلمتها الحزن أو تترك انطباعا أخيرا بالحزن .. مثال ذلك كلمتها المثيرة عن الدهشة ..

إنها تلاحظ أن الناس فقدت القدرة على الدهشة .. والتعاطف .. وربما الإحساس ..

وهى تنقل إليك حزمة من المواقف الحياتية تجمعها مثلما تجمع الفلاحة حزمة الجرجير .. وتنتهى بك هذه المشاعر إلى مشاركتها فى الإحساس بالبلاء الذى عم وطم .. وترك الأولاد بغير عم .

وأحيانا تجرفها الشفقة الأنثوية على امرأة من بنات جنسها فترى فى « الهلس القراح » طموحا ، وترى الطموح هلسا قراحا .. وتدهشها هوجة الظاهرة الرمضانية الفريدة بين تليفزيونات الدنيا (تقصد الظاهرة الفوازيرية) .. بعد هذا السطر الذى يوحى بالمعرفة تقع منها المعرفة وتشفق على فتاة بريئة (!!) تجرأت وقبلت أن تكون فى طموحه وحاولت أن تقدم هذا العمل الفذ ..

إن الكاتبة أحيانا تسير على قشرة موز كان أحد القرود من أفكارها يأكلها .. ولسنا مسئولين عن انزلاقتها مع قشرة الموز .. إن المسئول عن الموقف هو قشرة الموز لا الكاتبة .

سيمضى القارىء مع أفكار الكاتبة ليراها تحقد على المدن الأوروبية الكبرى لسبب بالغ الطرافة .. إنها مدن ليست فيها لافتات مثل مدننا .

إن زحام اللافتات فى مدننا بكل قبحه الذى يحطم مشاعر الجمال والذوق يجعلها تؤمن أننا من شعب كان إنجازه العظيم إنه دهن الهواء بالدوكو مرة وباليافطات مرة أخرى .

وفى كلمة من كلماتها تدعو التليفزيون إلى تسجيل اختراع جديد.. فى الشهر العقارى الدولى .. هذا الاختراع هو مذيعة الربط.

إن المذيعة تخرج على الجمهور بوجهها الحسن لتقول له إنه سيشاهد فيلما أو أغنية أو حديثا .. والمعروف أن المشاهد سيكتشف بنفسه هذا السر حتى وإن أخفاه عنه التليفزيون .. ولعل المشاهد سيكتشف هذا بغير ربط توضيحى وتفسيرى ..

....

لا أريد أن أفسد متعة القارىء بالكتاب ، وإن كنت أريد أن أنبه إلى مافيه من نقد عام وخاص لمظاهر حياتنا وسلوكنا وأعرافنا وتقاليدنا .. وهو نقد لاذع يدخل فى نسيج الكتاب كله .. وهو كتاب إما أن يأكل قارئه أو يأكله القارىء .

احمد رجب



القبيلة .. و .. أنا

شيء من الاحترام

أنا فى حيرة شديدة !

أبحث عن معيار الاحترام الحقيقى فى مجتمعنا العربى .

مجتمع «الأستاذ » و« الدكتور» و«البروفيسور» و«الموسيقار» .

مجتمع « حضرتك » و« سيادتكم » و«سعادتك» و«معاليكم» .

مجتمع الأدب والوقار واحترام الأكبر سنا والأكثر خبرة .

مجتمع الترقى بالأقدمية ، وفتح باب السيارة ، وسحب المقعد ، وإشعال السيجارة «للسيدة» .

مجتمع أرجوك لا تتفوه بكلمة جارحة أو لفظ مشين فى حضور «المدام» .

مجتمع الرجل الشهم الذى لا يمد يده على « حرمه » .

أسافر .

أتأمل هذا المجتمع الآخر مجتمع الخواجات « المجتمع الغربى » .

تتردد على لسانى عبارات الإدانة والسخط لأنه :

مجتمع تخلى عن الألقاب .

مجتمع ينادى فيه طالب الجامعة أستاذه الدكتور باسمه المجرد وربما « اسم الدلع » .

مجتمع « الدكتور » فيه هو طبيب داخل عيادة .

مجتمع حذفت من قواميسه كلمة « أستاذ » و« بروفيسور » واختفت من لغته تعبيرات « أنتم ونحن » وأصبحت فيه « أنا » هى أهم كلمة فى القاموس .

مجتمع ينادى فيه الطفل أباه وأمه بالاسم بدلا من « ماما وبابا »
مجتمع تطالب فيه المرأة بالمساواة مع الرجل حتى فى رياضة « حمل الأثقال » ، و« كمال الأجسام » ، و« المصارعة الحرة » .

مجتمع تغضب فيه المرأة إذا تجرأ رجل وفتح لها بابا أو أفسح لها مكانا فى « الأتوبيس » .

أعـود

أتأمل ذلك الأدب الجم ، وقار الرجل الشرقى واحترامه الشديد لكينونة المرأة ، خارج جدران البيت .

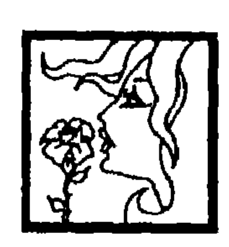
أتأمل الرجل الشرقى ، وهو يضرب زوجته ، ويشتم ويسب بأقذع الألفاظ ويثور ويغلى ، ويضرب، ويضرب ونقول معذور ، إنها مجرد لحظة غضب ، لحظة ثورة ..

لم يكن يقصد الإهانة .

أتساءل .

ما هو الأفضل ؟

قيراط احترام ؟ أم فدان إهانة ؟



هيا بنا .. نلطم !

أصابتني حالة من الخوف الدفين عندما جمعتني المقادير بمجموعة من الأطفال الصغار .. براعم المستقبل العربى (يا عينى عليه) يتحدثون مع الماما والبابا والدادة السيريلانكية بالإنجليزية «التعبانة» .

فلا هى إنجليزية الملكة إليزابيث ولا الناظرة البريطانية مارجريت تاتشر ، ولا حتى إنجليزية الأمريكان الخنفاء ، لكنها إنجليزية معربة « مفلبنة » « مهندنة » نسبة إلى المربية الفليبينية والهندية . إنجليزية تطول فيها المقاطع على وزن عربى نهاوند ، وتتحول فيها الحروف إلى أنصاف حروف منطوقة بنصف لسان . لا حصلنا على عنب الشام ولا بلح اليمن . والأطفال حيارى بين العامية والعربية الفصحى والإنجليزية المشكلة .

المصيبة الكبرى إن المسألة لم تقف عند هذا الحد ؛ فالتليفزيون يقدم يوميا بنجاح كبير مجموعة من المغيبات عن الوعى فى شكل شىء اسمه الإعلان .. ويتوه الأطفال بين الألوان البراقة والأشكال المدهشة

للحلويات المدمرة للأسنان والبنطلونات والفساتين المدمرة لميزانية الأب المسكين ويغيب الأطفال مع دقات الطبل والزمر والصاجات . ويصاب الجميع بحالة من « الفرفشة » والانبهار يمكن أن يتحول إلى إدمان إعلانى من « أول إعلان » .

نعود لمصيبتنا الكبرى وكنا نبكى على أن الأطفال نسوا العربية وهجروها إلى الإنجليزية التعبانة ، فنجد أننا لابد أن نلطم الخدود وننداب ونفرد شعورنا حزنا عندما نجد أن الأطفال نسوا العربية والإنجليزية والعامية « كمان » . وهجروها إلى لغة لست أدرى جاءت من أين ولكنها « أتت » .

هذه الإعلانات الفذة التى يتغنى بها أطفالنا والتى تقوم بذبح لغتنا العربية وياحسرة العامية بسكين غير حاد ، تقدمها بنات حلوات يتغنين بالأحمرات والأصفرات والألوانات و« الشريط الأزرقة » . ولا أدرى سر رفض جمع المذكر السالم بشدة ! يبدو أن هناك مؤامرة نسائية متعصبة وراء ذلك ، أما الجمع بين المذكر والمؤنث فى صفة واحدة فهذا جنس ثالث فى اللغة ، جديد ومبتكر !

أما مسألة التصغير فى اللغة للتدليل فهذه مسألة أخرى . بحيث أصيب كتاب الإعلانات والفزورات (الفوازير) بهوس أو حمى التصغير .

ومازلت أبحث عن معنى فنونه بنونه جنونه غنونه!!

وفكيره يا حليله ..

وآ مصيبتاه !



شرقية .. من إياهم !

اختيار بسيط أطالبكم بشدة بتجربته حتى أتحقق من هاجس يطاردنى ويؤرقنى فى الحلم واليقظة .

اقتراح .. مجرد اقتراح ، تافه أو جاد ، سخيف أو ظريف ، معقول أو مجنون ، واقعى أو خيالى .. مجرد اقتراح أطرحه بين مجموعة من الناس .. أى مجموعة .. مثقفين أو جاهلين ، رجعيين أو تقدميين، تافهين أو عاقلين .

لا أدرى كيف ولكن النتيجة ستكون هى الإتفاق التام ، قد تتسرع وتقول : قديمة .. طبعا لأن العرب اتفقوا على ألا يتفقوا .. من زمان.

ستجد انهم بالفعل إتفقوا ، لكن حول شىء اسمه الرفض ، السلبية الاستهزاء ، التقليل من حجم أى شىء ، وهم يتبعون فى ذلك سياسة شرقية مائة بالمائة هى سياسة « خالف تُعرف » تُعرف بماذا ؟ لا يهم ، أو تعرف بالسخافة والوقاحة وقدر لا يستهان به من الرذالة لا يهم . المهم أن « تُعرف» وتتميز برأيك .

أثارت « هوجة » الظاهرة الرمضانية الفريدة من نوعها بين

تليفزيونات الدنيا ألا وهى الظاهرة الفوازيرية ، أثارت هذا الخاطر الخطير أمام عينى لمدة ثلاثين يوما .

استل كل من « هب ودب » سكينا حامية ليطعن بها فتاة بريئة تجرأت وقبلت أن تكون طموحة وحاولت أن تقدم هذا العمل الفذ !! الذى أصبح مثل سباق سباحة « المانش ». لا يهم إن كانت قد نجحت أو فشلت ، المهم أن المسكينة مثلها مثل سابقاتها دخلت منطقة الضوء واللمعان ، دخلت منطقة الممنوع .. منطقة الطموح ! والطموح فى قاموسنا العربى عيب ووقاحة وتجرؤ ، يقولون هذا الإنسان «عيبه» أنه إنسان طموح للغاية !

نظرية شرقية من إياهم تجعل من الرغبة فى النجاح والتميز وتحدى الصعاب عيبا ومصيبة على صاحبها .

رد الفعل الأول لدى الإنسان الشرقى هو كلمة « لا .. »

فلو أراد أحد أن يعرب عن اندهاشه وتصديقه لمقولة ما ، يقول لك: لا .. ياشيخ .. صحيح الكلام ده !

لو أجرينا إحصائية على صفحات النقد الصحفى والفنى والاجتماعى فى كتاباتنا سنجد أن خمسين فى المائة نقد جارح ساخر لاذع وتسعة وأربعين فى المائة نقد مجاملات ، وواحدا فى المائة كلمة حق صادقة .

جربوا فكرة الاقتراح وقولوا لى : كم من أصحاب فتوى « خالف تُعرف» ستقابلون .

شريط من فضلك !

أقر وأعترف أننى مدمنة .

وأعترف أيضا أننى حاولت بكل جهد وإخلاص الإقلاع عن هذه الرذيلة . حاولت . وفشلت .

قالوا الإقلاع يتطلب العلاج . والعلاج عند الكُتَّاب ، والكتاب كتبوا وكتبوا لكن لم ينجح أحد فى السيطرة على حواسى ، والاستحواذ على جوانحى ، كما يحدث لى كل مساء حين تمتد أصابعى فى خجل وتردد إلى تلك العلبة الصغيرة العلبة التى تفتح لى أبواب مغارة « على بابا » وتأخذنى إلى عوالم غريبة .. أستسلم وأسلم عقلى ووجدانى وكل أسلحتى المنطقية والعقلانية .

نعم أنا مدمنة .. أتعاطى « الفيديو » .

حكايتى مع إدمان الفيديو بدأت أثناء دراستى فى جامعة « جورج واشنطون » الأمريكية حيث كان هذا الجهاز العجيب وسيلة «للمذاكرة» (أى والله) ، وكان أساتذتى من المثقفين الأمريكان ، شأنهم شأن حزب المثقفين العرب ، يشجبون ويعادون بشدة جهاز «التليفزيون» ويقاطعونه مقاطعة إسرائيل أيام كنا نعرف المقاطعة .

كنت أتعجب فى صمت من حال « الأمريكان » وأمصمص الشفاه فى لوعة وأنا أشاهد الأفلام الأوسكارية بالكوم والبرامج الترفيهية «بالزكيبة» والنشرات الأخبارية « شغل على ميه بيضا » وأصاب بالذهول وأنتقل من « هونج كونج » إلى بلاد تركب التماسيح فى ثوان معدودات . يسمون ذلك تدميرا ثقافيا ، ألعن فى سرى الثقافة ويومها والاستعلاء الأمريكى « المتحذلق » أقول « جتنا نيلة فى حظنا الهباب » .

أدمنت التليفزيون والفيديو .. أصبحت أتعاطاهما فى سرية مطلقة.

أخفيت الفيديو فى دولاب الحمام . تماديت .. كنت أكذب بكل ثقة عندما يسألنى الزملاء « هل شاهدت دالاس » ؟

فيكون ردى الفورى : « فشر » لقد قضيت الأمس فى قراءة مسرحية للمستر « آلى ساليم » مؤلف مسرحى مصرى «حاجة كده» تماثل « توم ستوبارد عندكم » لكنى ضبطت متلبسة ، وطردت من قبيلة المثقفين شر طردة ، ومن ثم انضممت إلى قطيع المدمنين العرب.

المصيبة أن « الكيف » رفيع المستوى شح من السوق ، فلم أجد عند تاجر « الفيديوهين » سوى « المرأة صاحبة أصابع القدم الفولاذية » و« قاهر الطغاة والمستبدين السبعة » ومئات العلب التى تحتوى على « الرعب الأزلى » فهذه هى الأفلام التى يرسلونها إلى عالمنا الثالث ، حيث أصبحنا صفيحة قمامة فيديو العالم « الأول » . . ولم يتبق لى سوى « نوتس لاندنج » على آخر الزمن ..



بأى ثمن !

منذ سنوات أعلن يابانى معتوه (ولا يهمنا أنه قد فقد عقله « فهم كثير ») إنه سيحرق نفسه أو « يولع فى نفسه بالجاز » كما نسمع فى تهديدات نجمات أفلام حسن الإمام رحمه الله .

حدد المجنون اليابانى المكان والزمان والسبب ، ولا أذكر إن كان السبب هو الاحتجاج على الأسلحة النووية ، أو تعذيب الفئران فى معامل التجارب أو قتل الدببة فى القطب الشمالى ، وكلها مسائل تخص الجماعة فى العالم الغربى فهم ناس «فاضيين» لا تؤرقهم مشاكل طفل كل ٢٦ ثانية ، ولا عندهم أزمة شقق، ولا أزمة خبز ولا تعليم ولا حروب تستمر عشرات السنين.

المهم أن الأخ المعتوه وجد نفسه عندما حانت اللحظة محاطا بعدد لا بأس به من كاميرات التليفزيون والصحف ، والكل على أهبة الاستعداد فى انتظار تصوير هذا المشهد الرهيب ، والأضواء كاشفة

والأصوات هامسة و« ياللا يا أستاذ خلصنا ورانا شغل ومصائب أخرى نصورها » .

أمسك الرجل بصفيحة « الجاز » وصبها على رأسه ، ولم يتحرك أحد ولم ينطق منهم قائل : « حرام عليك يارجل » .

أشعل الرجل الكبريت ولم يتحرك أحد ولم تصرخ امرأة فى الحشد ، خمسة يكتفوه يا ناس ياهوه ، بل « طرقعت الفلاشات » ، وتفرج الناس فى بلادة وإجرام ووحشية ولم ينقذ المجنون من جنونه الراكضون وراء اللقطة الصحفية .

فهو عالم مجنون .. مجنون .. مجنون ..

تذكرت هذه الحكاية المفزعة المرعبة وأنا أرى صورة شريهان تشيح بيديها تتوسل : أرجوكم لا تصورونى ؟

ما هذا الإصرار العجيب على تسجيل لحظات الألم البشرى ، واختراق مناطق الحزن واللوعة ، وتعرية خبايا النفس لحظة الضعف ؟!

ما هذه القسوة المجنونة ؟

ما هى المتعة فى تصوير فتاة محطمة العظام ، مشروخة النفس ، مكسورة القلب ، مخنوقة بالدمع ، مذعورة من الغد ؟!

هذا ليس مشهدا تمثيليا فى فيلم .. هذه لحظة حقيقية .. دم ولحم وليست «كادرا » داخل شريط سينمائى على آلة عرض .

الرحمة يا أرحم الراحمين .. ارحمنا من قسوتنا .

نعامة هانم

ومالها النعامة ؟

أعقل الطيور وأحكم الكائنات ، تدفن رأسها في الرمال ، فتضمن بذلك راحة البال ، وسلام الحال ، وبلوغ المنال .

تدفن رأسها في الرمال .. فلا ترى ولا تسمع ولا تتكلم !

ولو انقلبت الدنيا رأسا على عقب ، تضمن أنها كانت دائما «شاهد ماشافش حاجة» .

لن يتهمها أحد بأنها جبانة ، أو متقاعسة أو كسولة ، أو رجعية .

والإجابة جاهزة عندها عندما يسألونها :

ـ كنت فين يانعامة والدنيا مقلوبة ؟

الرد جاهز : رأسها كانت تحت الأرض : شاهد ماشافش حاجة !

والنعامة العاقلة اختارت أيضا ألا تسمع !

فهى لا تسمع نميمة النعام ، أو « تجبيب » فى سيرة غيرها ، ولا تسمع قبيح الكلام ،والألفاظ من الشوارع والطرقات حولها . ولا تسمع الأغانى البايخة من صنف « يا فرحة المكوجى فيّه » وطبعا لن

تسمع «شتيمتها بودنها »!

الأهم من هذا وذاك أن النعامة هانم .. لن تتكلم !

لقد أدركت منذ مئات السنين أن هذا هو مفتاح التعامل الرصين فى هذا الزمن اللعين .

لن تتكلم أو تقول « للأعور أنت أعور فى عينك اليسرى » ، كما أنها لن تنافق وتقول له « دارى العيون داريها .. ده الحسن ساكن فيها » .

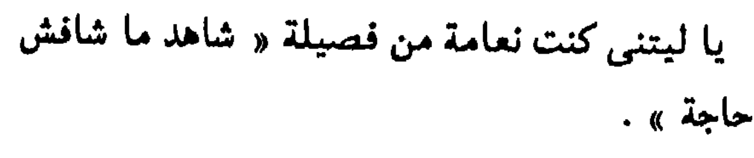
لن تتكلم وتبدى رأيا أو مشورة ، أو تطلق حكما أو تدلى بنقد موضوعى .

كما أنها لن تؤيد ، ولن تزغرد ، ولن تكذب ، ولن تجامل ، ولن تتجمل !

لن تتكلم فتقول « معلش » و « مش بطال » و «ما تفوّت يا عم».

كما أنها لن تقول « آخر تمام » ، و« فل الفل » ، و«ليس فى الإمكان أبدع مما كان» ، وكل العبارات التواكلية المتثائبة ، اللا مسئولة التى ترصع حياتنا ، ونقتنيها باعتزاز شديد.

حتى كلمة الحق لن تستطيع أن تتفوه بها النعامة هانم ، فلقد اختارت أقصر الطرق إلى الحياة السالمة الهانئة « المتخلفة » .



يا ليتنى كنت نعامة من فصيلة « شاهد ما شافش حاجة » .



للأسف لأننى مازلت إنسانة !

غوريللا فى الضباب .. !

كنت فى أشد الشوق لمشاهدة الأفلام المرشحة للأوسكار ، ومن بينها فيلم « غوريللات فى الضباب » حيث تخيلت بسذاجة شديدة أنه فيلم كوميدى لطيف ، وكانت المفاجأة أن هذا الفيلم يحكى قصة عالمة شابة هجرت المدينة الصاخبة لتعيش بين الغوريللات الأفريقية وتدرسها وتدون كل صغيرة وكبيرة على سلوكياتها ! وتجد نفسها فى مواجهة مع تجار الحيوانات الذين يقتلون الغوريللات الكبيرة للحصول على الغوريللات الصغيرة وبيعها لحدائق الحيوانات ، أو يصنعون من أكفها « طفايات سجائر » .

بحثت فى قاموس لغتى عن كلمة عربية فصحى تعبر عن معنى «الناس الرايقة» فلم أجد . ربما لأننا لا نعرف بعد هذا النوع من «الروقان» ، ونحن مازلنا بعد نحاول دراسة سلوكياتنا ومفاهيمنا وأبعادنا ، وليس معنى ذلك أننى أدين هذا الفيلم أو موضوعه الإنسانى الحيوانى ، لكنى أشعر بغصة فى حلقى وغيرة تأكل قلبى

عندما أجد أن هناك فى هذا العالم أناسا يهتمون بإنقاذ حياة الغوريللا وينفقون الملايين فى إخراج فيلم عن ضحايا العنف الإنسانى تجاه الحيوان ، ونحن لا نزال نشاهد فى صمت ، الحرب تنهش ضحايا العنف والوحشية الإنسانية تجاه الإنسان !

وأتذكر صديقتى الإنجليزية التى كانت تهوى « مراقبة الطيور » وهى هواية منتشرة عند الناس « الرايقة » حيث يخرجون فى الفجر لمراقبة الطيور عن بعد ، يحمل كل منهم مذكرة فى يده يدون فيها كم طيرا شاهده ، ولون الجناح ، وكم ريشة فى الذيل وطول المنقار .. ويتبارى الهواة فى إحصاء عدد الطيور التى شاهدوها فى حياتهم وتصنيفها وعمل جداول وألبومات صور لها .

وأتذكر أننا لا نعرف حتى الآن بالضبط تعداد العالم العربى لأن الناس تكره فكرة الإحصاء ، وكما تقول الست جارتنا « أم سلامة » الإحصاء يفتح عيون الحساد والضرائب علينا !

أحاول مصالحة نفسى ، فأتذكر صديقتى الفرنسية التى تهوى إحصاء القطارات وتنافس جاراتها فى جمعية عد صفارات القطارات.. حيث تدون كل منهن أنها خرجت إلى المحطة فشاهدت قطارات السابعة والربع والنصف وإلا ربعا والثامنة .. فى يوم واحد !

ترى هل أفرح أم أحزن أننا لسنا من « الناس الرايقة » ؟

الترسو

أنا لا أفهم فى السياسة ، ولا أحبها وطبعا لا أكتب عنها ، وعلى الرغم من أن هناك الكثيرين من أمثالى إلا أنهم يعتبرون ذلك مسألة سرية ومن العيب والفضيحة الإفصاح عنها .

وعلى الرغم من خيبتى فى عالم السياسة إلا أن هناك أشياء صغيرة تؤرقنى مثل حكاية « العالم الثالث » وتظل فكرة فى رأسى تدور : العالم الأول هم الجماعة « المريحين » والكتاب يعرف من عنوانه .

دول القارة الأوروبية والولايات المتحدة . واضح .

أما دول العالم الثالث التى أطلقوا عليها فى نشرات الأخبار ، الدول المتخلفة ثم ترقت إلى الآخذة فى النمو ، فمعروفة . والعجيب أننا نفخر ونعتز بأن دول العالم الثالث « عملت » ودول العالم الثالث « سوت » ويرى عتاة المثقفين أن كلمة العالم الثالث تعنى

النضال والكفاح . ولم يتوقف أحد ويسأل الذين أطلقوا علينا هذه الصفة من أوائل الصف .

طيب لماذا لا تذكرون فى نشراتكم وكتب السياسة والاقتصاد والمعاهدات والمؤتمرات دول العالم الثانى ؟.

لأن أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى فهمت لعبة الترتيب الرأسى ورفضوا أن يصبحوا رقم ٢ على خريطة العالم وفلتوا من «المطب» وأطلقوا على أنفسهم اسم الدول الاشتراكية ، وحطوا رأسهم برأس الجماعة من العالم الأول وبذلك لا نسمع مذيع النشرة يقول : «وقد عقد وزراء دول العالم الثانى ...»

لكننا ليل نهار نلصق بأنفسنا صفة نمرة ٣ كما أراد لنا الأوائل الشاطرون . ولأنهم لم يصنفوا دول العالم الرابع والخامس والعاشر ، فالشىء المنطقى أننا بالفعل فى ذيل القائمة . يعنى آخر الفصل. والغريب أن رقم ٣ مرتبط فى تاريخ الإنسانية بالغلب والفقر و الهم ، حتى أن الغرب أصر دائما على أن يجعل « الدرجة الثالثة » فى وعى شعوبنا درجة تحتية ، أى « ترسو » .

وعلى الرغم من أننى لا أفهم فى السياسة إلا أننى أتمنى أن نقف قليلا أمام هذا « العنت » ونصر على أننا دول العالم النامى ، العالم الأصيل صاحب الحضارات والتاريخ وإذا احترم الإنسان نفسه فلابد أن يحترمه الآخرون .

الهـــرم الذى ضــــاع !

تنقلت بين عواصم العالم .. وعشت فى شوارع مختلفة .. شوارع كبيرة وشوارع صغيرة ، شوارع محترمة وحارات .

أصبح الشارع بالنسبة لى هواية وصديقا ، أشعر نحوه بالمحبة والغضب والشوق والملل ، وربما الغيظ الشديد .

شارع الهرم صديق قديم ، عشت طفولتى أقطعه جيئة وذهابا ، شاهدت أيام صعود وسقوط إمبراطورية شارع الهرم ، أيام أن كان شارع الهدوء والأشجار والأناقة والفيللات المتناثرة برشاقة ، وأيام أن فسدت أخلاقه وسمح لنفسه بالتزين بالأنوار المتلألئة والنوادى الليلية المفزعة وأصبح يتمتع بفساد ذوق وانحطاط سلوكى و«شاف نفسه». ثم أصيب بأزمة قلبية نتيجة سهر الليالى وانكتمت أنفاسه بآلاف السيارات والعمارات العشوائية .

زعلت .. هجرت شارع الهرم الذى هرم بسرعة !

لجأت إلى صديق جديد فى طريقى إلى الهرم .. شارع الملك فيصل. تأملت ..

فى شارع الملك فيصل عمارات وعمارات ، كل صاحب عقار قام

ببناء عمارة « على كيفه » أشكال هندسية غريبة متلاصقة لو عرف بها أساتذة الهندسة المعمارية وأساتذة مادة اسمها « تخطيط المدن » لهجروا الهندسة إلى بيع الكباب والكفتة .

أصحاب العقارات بنوا بالطوب الأحمر ولم يكلفوا أنفسهم طلاء العمارة من الخارج طالما دخل المقدم والخلو والشيك جيوبهم ، والسكان مساكين يبحثون عن جدران ولا يهم إن كانت مطلية من الداخل أو الخارج ، أصحاب العقارات أحرار طالما لا يلزمهم قانون ولا يدفعون غرامة تقصم « الوسط » فهذا زمن « ابنى العمارة واجرى » .

ولا يجب أن نحزن على حقوق السكان الضائعة ، لأن هذا الشارع الشاب قد يقول لى بلهجة احتجاج : نحن كاملو المعانى وأنا شارع فنان .

فهو شارع يحب الاقتناء .. تجد فيه الأصدقاء متجاورين متلاصقين فى لوحات شاعرية مثيرة ، و« لا أجدع معرض فن تشكيلى » محل طلمبات تنقية المياه المستديرة إلى جانب محل طعمية بجوار محل لبيع « الجاز » يليه بائع أسماك ثم بائع بويات حيث تختلط الروائح فى أريج نادر .

تذكرت حين وضعت يوما فى « بلكونة » شقتى بشارع «سيمنارى» فى فرجينيا الأمريكية «صندوق كراكيب» غرامة خمسين دولار دفعتها وأنا فى أشد الخجل لأنها كانت : غرامة إيذاء عيون المارة .. وتقبيح شكل الشارع !



شوارع من نار

وانتهى موسم الامتحانات ونالت زوجته علاوة وخرج من كابوس الأزمة القلبية ، فاتخذ فرمانا عائليا بإقامة الأفراح والليالى الملاح فى الملاهى مع « العيال وأمهم » . وخرجت الأسرة الصغيرة فى الطريق إلى الفرحة .

يوم فى العمر .. يوم من ٣٦٥ يوما مشحونة بالهم والمسئولية ومصاريف المدرسين ، وفواتير الأطباء . وتلوث الهواء وانقطاع الماء .

يوم من عمرى .

« كسر عليه » .

طبل وزمر « إيه الاسا توك ده .. إيه يا راجل انت ده » ، ميكروفونات إذاعات العالم المتحدة تنطلق من السيارة المجاورة ، والسائق والسيارة يترنحان على « الواحدة ونصف » فى حالة انتشاء واستعداء ، ربما من تأثير حبوب السرعة وحقن الموسيقى المورفينية .. وأشياء أخرى .

« كسر عليه » مرة أخرى .

وفرملة والثانية وتوقفت السيارة تسد الطريق أمام موكب الفرحة العائلى الصغير .

وتحولت المعركة الموسيقية على الشريط إلى معركة حقيقية بدأت بالنظرات ثم الآهات والكلمات واللكمات و«إيه ياراجل انت ده » و«المُنْجِد » فى قاموس الشتائم ، والمصباح المنير فى عالم الملاكمة الحيوانية والمصارعة غير الحرة .

وانتهت رحلة السعادة التى لم تبدأ ، فى المستشفى وقسم البوليس.

وجرح لن يندمل محفور فى جدار القلب ، وغصة مخنوقة فى الحلق.

يوم من عمرى .. لن يمحى من ذاكرة براعم صغيرة تتفتح عيونها فى الحياة على براكين العدوانية والكراهية الفطرية دون سبب .. دون ضابط أو رابط .

شوارع من نار .

وسألت الصغيرة القادمة من بلد بعيد .

ـ ليه مفيش نظام فى الشارع ياماما ؟

ـ لأن هناك عندهم « قانون » ياسارة .



وتعجبت سارة : وليه مفيش عندنا « قانون » ياماما !

دراما « الجوزة » !

اختيار اسم المولود أو عنوان لعمل فنى مسألة معقدة . فهذا الاختيار تعبير عن شخصية وفلسفة وفكر الإنسان . أذكر يوم استقللت سيارة تاكسى فى لندن يقودها سائق باكستانى ، سألنى بفضول عن معنى كلمة « حمارة » بالعربية ، تعجبت وسألته لماذا : فقال إنه كان فى حيرة من أمره ، يحاول اختيار اسم لمولودته فاقترح عليه أحد الركاب العرب اسم « حمارة » فأعجبه وأطلقه على المسكينة لكنه لا يعرف معناه . طلبت منه تغيير اسم البنت بدون تعليق !

تذكرت روح الفكاهة الانتقامية تلك وأنا أرى أسماء باقة من الأعمال الفنية العبقرية ترصع شوارعنا . لم أصدق .. واعتقدت أن هناك مؤامرة خبيثة مجهولة الأطراف للقضاء على بقايا العقل العربى. تخيلوا معى الحوار التالى إذا أراد المرء دعوة صديق على أمسية مسرحية « ثقافية » :

ـياميت مسا .. أخويا هايص وأنا لايص .

ـ لا .. نص أنا ونص « إنتى » وتصبح على خير ياحبة عينى .

ـ هات من الآخر ده « الصعايدة وصلوا » .

ـ طب وبعدين أيها « البعبع »

هذا الحوار المفزع لو سمعه العم شكسبير لأصابه «بحالة طوارىء» نفسية وعقلية ، الرجل الذى اختار « حلم ليلة صيف » «وكما تحب» عناوين تلخص « وجهة نظر » فنية وإنسانية فى كلمات .

أتذكر ذكاء الأستاذ مصطفى أمين عندما اختار « الأخبار » لجريدة يومية تحمل أخبار الدنيا لك ، وبراعة إحسان عبدالقدوس فى « لا شىء يهم » عنوان يحمل فلسفة حياتية فى زمن التكالب والصراعات والطموحات القاتلة . والسهل الممتنع فى عنوان «السمان والخريف» لنجيب محفوظ. و« على جناح التبريزى وتابعه قفة » حيث لخص ألفريد فرج التركيبة الطبقية الإنسانية وعلوم السياسة والاقتصاد . أتخيل عام ٢١٥٠ وأستاذ الدراما يحاضر فى الطلبة .

ــ وقد شهدت الثمانينيات من القرن الماضى حقبة من الانحطاط الثقافى والدراما المزاجية « نسبة إلى الجوزة » حيث كان الناس يعيشون حالة من البله العجيب ويحصون الضحكات ويسبحون فى الضحك « للركب » حتى غرقوا فى جهلهم وتخلفهم واندثر ما يسمى بالعقل العربى !



أخصائى مسالك عقلية !

نيويورك ، لندن ، باريس ، طوكيو ، لوس انجلوس ، مدن أحقد عليها ! نعم .. أعرف أن الحقد رذيلة ، لكن ـ سامحنى الله ـ لا أملك إلا أن أحقد عليها . ليس لارتفاع مستوى دخل الفرد فيها ، فتلك شئون سياسية اقتصادية مرتبطة بالرقعة الجغرافية والموارد الطبيعية ، « وحلال عليهم » . وليس لأن لديهم مسارح برودواى وستوديوهات هوليوود فنحن ـ والحمد لله ـ لدينا روائع مثل « الصعايدة وصلوا .. ثم زعلوا » و« بكره أحلى من النهاردة » (كيف .. لا أدرى !) .

وليس لأن فى تلك المدن متاحف اللوفر والمتروبوليتان التى تفخر بالتحف والآثار المسروقة والمنهوبة من الدول الغلابة .. أسباب حقدى منطقية وبسيطة .

أنا أحقد على هذه المدن لأنها مدن بدون لافتات ! أى أن شوارعها وعمائرها نظيفة من تلك الرقع السوداء التى تحاصرك فى طريقك «فى الرايحة والجاية » .. مئات اللافتات تطالعك كل صباح وكل مساء : « أخصائى جراحة المخ والأعصاب » فتتذكر زوجتك ،

« أخصائى جراحة الفم والأسنان » فتتذكر عمليات الحشو والخلع والطقم و« تنقح » عليك ضروسك ومحفظتك .. « محام بالنقض » فتتذكر معنى جنحة وجناية وحماتك .. « أزياء الهوانم » مصيبة عيد ميلاد الهانم اقترب ، أجهزة كهربائية .. ياحسرة على الفيديو الذى احترق ، « مخدماتى السعادة » وقصتى التعسة مع « البت سيدة الشغالة » ، « شركة المكيفات » والمكيف الذى يعمل فى الشتاء ويضرب عن العمل فى الصيف .

لافتات من مختلف الأحجام والأشكال مثل لطع دودة القطن .. مدمرة تهلك صورة أجمل العمائر وتضيف إلى زحام الشوارع والأتوبيسات زحاما من نوع جديد . زحاما قبيحا مزعجا .. يجرح العين والنفس .. كم مرة قرأت فى طريقك «أخصائى المسالك البولية» ! وأتساءل : هل نحن فى حاجة إلى أخصائى مسالك عقلية وجمالية ؟ والكلام سيثير غضب الأصدقاء من الأطباء والمحامين والمهندسين ورجال الأعمال ، لكن مع الاحترام لكلام سيادتكم ، نحن نعيش فى عصر استعمارى جديد ، هو عصر احتلال الهواء والإعلان المجانى مع سبق الإصرار والترصد . قال لى الدكتور ذهنى فراج جراح القلب بهارلى ستريت : إن القانون البريطانى يمنع أى طبيب من وضع « لافتة » على باب العمارة يزيد حجمها عن ١٠ سنتيمرات فقط لا غير ، كما يمنع الطبيب من الإعلان عن نفسه ، لأن ممارسته الطبية هى أفضل إعلان عن عمله .

وأقول للدكتور « إحنا اللى دهنا الهوا .. لافتات! » .

ولاد .. الشوارع !

خبر مثير خطير .. خبر فظيع مريع !

ليس عن آخر أخبار التراشقات اللبنانية ، أو السواطير الأنثوية أو أبحاث كبار الأطباء السرية .. لا

خبر يقول : تم القبض على عصابة للقمار تتكون من عشرة أعضاء.. وقد قام ضباط الشرطة بعمل خطة عبقرية ووضع كمين متين للإيقاع بهؤلاء المجرمين .. وقد تم ضبط أعضاء الشبكة فى حالة تلبس وتلاعب بالعملة !

والعملة التى يحكى عنها هى « الشلن » أو الخمسة قروش .. والتلاعب بوجه العملة ، صورة أو كتابة ، حيث إن أعمار أعضاء الشبكة تتراوح بين ١٠ ـ ١٢ سنة !! هذا الخبر ليس من تأليف وتلحين شهرزاد وليس من قصص ألف ليلة ، هذا الخبر حقيقة منشورة فى الصحف .

ولا أدرى لمن أوجه العتاب ؟ وهل هو عتاب أم لوم أم حسرة أم خيبة أمل.. أم مصيبة ! أم هو « هم يضحك وهم يبكى » ! خيبة أمل فى من ؟ فى زميل صحفى ترك مصائب الدنيا وكتب هذا الخبر،

أم فى أخ ضابط شرطة تناسى حوادث القتل والاغتصاب والسرقة وجنون القيادة وبيع المخدرات فى الباطنية للقبض على أطفال قصر !

أطفال ؟ هل أصبح همنا المقيم عقاب الأطفال ونحن لم نقرر بعد كيف نعلمهم ؟ وأنا لا أدافع عن هؤلاء الأطفال لأنى أرفض جريمة المقامرة ، لكنى أدافع عن ضحايا .. ضحايا أنانية واستهتار الأهل.. الأب والأم اللذان أنجبا ثم ألقيا بفلذة كبدهما فى عرض الشارع .. ضحايا المشرع الذى وضع قانونا بمنع تشغيل الأطفال ومضى إلى ورشة الميكانيكى يصلح سيارته وتحت عجلاتها يرقد « الواد بلية » (١٠ سنوات) وتخدم الهانم فى البيت « البت سعدية » (٩ سنوات) .

أطفال ياناس ؟ هل نعاقب أطفالا يلعبون بقروش وملاليم ونحن لم نعاقب رجلا باع شركة الملاحة البحرية القومية ووضع الملايين فى حساب ابنته بالدولار .. ونحن لم نعاقب بعد مسئولى الشركات الحكومية الذين لعبوا « بالفلوس لعب » حتى بلغت خسائر إحدى الشركات ٨٠ مليون جنيه . ونحن لم نعاقب بعد من نهب أموال الناس الغلابة ومضى إلى محلات الفراء والكافيار الباريسية «بالسلامة ياشربا» ومازال القمار فى كازينوهات مونت كارلو ؟

أطفال ؟

ومـاذا حدث لتجار المخدرات ؟ .. ومـاذا ؟ .. وماذا ؟ .. وماذا ؟



أغنيات الوهم والسباكة

هشتكتك بالهشتاكة ماتهشتكتش .

مسكتك بالمساكة ليه مامسكتش

قلبى عايز سباكة .. رمشك يدبح .

هذه الأقوال المأثورة ليست بالصينية أو المجرية . بل بلغة يطلق عليها العربية ! وهى أغنية ساخرة ضاحكة تسخر من الأغانى التافهة التى انتشرت فى حقبة تاريخية . لا أدرى هل هى الخمسينيات أم الستينيات لأنى على ما أذكر كانت هذه حقبة . « صافينى مرة » ، و« أهواك » و« بالأحضان » لكن مؤلف أغنيات مسلسل الكهف والوهم والحب ربما كان أعلم بمسائل الهشتكة ، وأعتقد أن مؤلف القصة الأستاذ محمد جلال أصيب بنفس الحالة التى أصابتنى وأنا أشاهد هذه الأغنية الفذة ! لكنى أود مناقشة مضمون الأبيات لأنى اختلف مع صاحبها .

فمن ذا الذى تعرض عليه « الهشتكة » ويرفض ؟ إلا إذا كان من أصحاب الوزن الثقيل مما « قطم » الهشتاكة . وأرى أن هذا هو السبب الوحيد لرفض هذا العرض المغرى . وأنا لا أفهم ماهو المقصود بالمساكة فى هذا المقام ؟؟ أما مسألة قلب البطلة الذى فى حاجة إلى سباكة جراحية ، فهذا معقول جدا . (وراحت عليك يادكتور مجدى

يعقوب) فنحن الآن لدينا السباك « الدكتور » الذى يقوم بتغيير « جلدة » الصمام الأورطى ويفك لحام الشريان التاجى . والقلب ماهو إلا « صنبور » فى مجتمع « السباكين » هذا يضخ مياه (إذا لم تكن مقطوعة) وذاك يضخ الدم والمشاعر وينفطر أحيانا من الغيظ مثل مواسير المياه .

أغنية « الهشتكة » ظلت تطاردنى حتى شاهدت أغنية ساخرة ضاحكة أخرى فى فيلم أجنبى جعلت المقارنة ضرورية.. كانت البطلة تود أن « تدلع » البطل بأغنية كاريكاتورية فقالت له : أنا فين . وأنت فين .. أنت القمة وأنا السفح .

أنت الكوليسيوم الإيطالى .. أنت متحف اللوفر .

أنت ميكى ماوس .. أنت لحن فى سيمفونية لشتراوس .

أنت لون البنفسج ساعة غروب الشسمس ليلة صيف على شاطىء اسبانى .

أنت المهاتما غاندى .. أنت نهر النيل .. (لماذا يتغنون به وهو عندنا وليس عندهم ؟) .

أنت برج بيزا .. أنت ابتسامة الموناليزا .

أنت فيونكة فى شعر طفلة .. أنت سوناتا شكسبير .

أنت يوم مباراة الدورى .. أنت عشاء ديك رومى ليلة عيد .

أنت علاوة فى المرتب .. أما أنا .. فأنا شيك بدون رصيد .

من على القمة ؟ ـ ومن فى السفح ؟ تلك هى المسألة .



طول ياليل .. طول

غنت فيروز ترجو وتتوسل إلى الحبيب والصحبة بالبقاء لحظات أخرى .. « إسهار بعد إسهار .. تا يحرز المشوار » . ولابد أنها كانت أيام شديدة الرومانسية والرقة لأن مقومات الإغراء بتطويل السهرة كانت تتلخص فى أن لديهم « القمر بالدار وورد وحكى وأشعار » .

وأعتقد أن تلك السهرة الرومانتيكية كانت تبدأ فى الثامنة مساء وتظل فيروز « تلح وتزن » حتى منتصف الليل !

ولا أدرى ماذا حدث لساعات الليل فى أيامنا هذه ؟ قد يتبرع البعض قائلا : « انفجار تشرنوبل » وهذه نظرية للمناقشة . هل تغير الليل ولم يعد ذلك « الليل لما خلى » أو أن تشرنوبل انفجر داخل شرايين السهر « المشعشعة » فى مخ الأمة العربية ؟

سهرة الثمانينيات النموذجية تبدأ بعد منتصف الليل .. « واردم » على « الورد والأشعار » وإن كان « الحكى » يظل جزءا لا يتجزأ

من السهرة حيث ارتدى ثوبا متألقا ومثيرا « طراز نميمة » وأخبار زواج وطلاق الأطباء وفستان العروسة وحوادث عدوية وفلان وعلان.. وشيرى إيه ؟ أما إذا كانت السهرة غنائية فحدث ولا « طرب » .. أيام جدتى شهرزاد الأولى كانت تستلم أذن العم شهريار حتى «ينخمد» عند مطلع الفجر ويدرك شهرزاد الصباح المبكر جدا فتسكت وتنخرس عن الكلام هى وفرقتها من المطربين والمطربات . ومن المؤكد فى الكتب التراثية أنهم لم يتسببوا فى إزعاج الجيران لأن سور نادى شهرزاد الرياضى الذى تقام فيه الليالى الملاح كان بعيدا عن مناطق الخيام السكنية . كان الناس يفرحون وينبسطون ثم يعودون إلى بيوتهم يترنمون بـ «ياغصن نقا مكللا بالذهب» .. أو «جادك الغيث إذا الغيث هما يازمان الوصل بالأندلس» .. أو «ولقد ذكرتك والنهار مودع» ..

نحن الآن نعيش أيام « السهرة تحلى » حتى مطلع الظهر .. حيث يبدأ كبار النجوم غناء الوصلة فى العاشرة صباحا .. حتى الظهر والمغرب .. قدرة جبارة وعظيمة على الجلوس والتركيز أتحدى أن توجد عند طلبة الثانوية العامة !

وسوف يدون فى موسوعة جينيس للأرقام القياسية أن العرب أحرزوا أعلى رقم فى عدد ساعات السهر الصباحى. رقم آخر لو سمحتم..

فى ميدان الإنتاج ، العامل يعمل ١٩ دقيقة فى الأسبوع .

أطفال الأساتوك !!

ألقت بى الأقدار ورمانى الهوا على شط اسكندرية .

الموج الأزرق فى عينى أصبح الموج الأسود بلون « الهباب » والموج الزيتى نسبة إلى الزيوت والشحوم و « الزفت » أو لون الأعشاب والطحالب العفنة .

هناك رأيته .. واقفا شامخا ولقد لفحت الشمس الحارقة بشرته السمراء ، يدور داخل دوامة مجنونة من القاذورات والميكروبات !

لقد كان يكنس ويغسل البحر !

عمره لا يتجاوز الثانية عشرة .. أجير صغير فى عالم كبير .. ضحكات رفاقه من الأطفال تجلجل من حوله على الشاطىء .. أم تنادى طفلها لتناول غداء السمك .. والريس ينادى صارخا يحثه على الإسراع فى صيد القمامة حتى يتمكن « الأولاد » من السباحة !

رمانى الهوا مرة أخرى فى المساء مع صحبة راقية ودعوة لحضور فرح .

الفرقة الموسيقية تقدم بكل فخر نجم الاستعراض ..

نجم حقيقى .. صوت جميل ، خفة ظل وحضور وأداء متمكن ، جوهرة أصيلة فى عالم الفن الزجاجى .

عمره لا يتجاوز العاشرة !

الساعة تجاوزت الثانية صباحا .. الثالثة .. الرابعة ، والنجم المتألق الصغير يغنى ويجلجل ويغازل ويغمز بالعين والحاجب و«رقصنى ياجدع» ورقصها يا أساتوك على واحدة ونصف وثلاثة أرباع .

توك توك توك .. وده أستك ولا بلاستيك .

فلنفرح ونفرح .. فرحنا ياولد ! .. أسعدنا فنحن نحب السعادة والفرحة أيها التعس الصغير .

التصفيق على الواحدة .. كتكوت ياروحى عليه .. لطيف ظريف سمباتيك وأورجينال مقصوف الرقبة .. شربات .. يجنن .. مسكين تلاقيه بيصرف على كوم لحم .. جنان .. جنان .

جنان وجنون وبهمان وخانكة وسرايا صفرا .

فى عمر الزهور .. الذابلة .. موهبة وذكاء وسوء تغذية وقانون سرى ومؤتمر تشغيل الأطفال .

فرحنا ياولد .. فنحن نحب الفرح والمهرجانات ورعاية الفن والثقافة ونقيم مئات الأفراح ونشيد آلاف الملاهى الليلية .

لا تسألنى ياولد كم مستشفى للأطفال لدينا ..

نحن لا نحب الحزن.

الجيل الصاعد .. شعارات كاسيتات .. صاجات.

أغسل البحر ياولدى ورقصنى ياجدع !



الكذب الأبيض

الكذب الأبيض ينفع فى اليوم الأسود والأبيض والكاروهات !

الكذب الأبيض و« الفوشيا » عذر مأمون مضمون ياولدى يفتح لك باب الزوغان على مصراعيه .

كنت مريضا .. مسافرا .. عمتى ماتت .. وزوج خالة ابنة عمى .. توكل .. وفى كل الأحوال عذرك معك .

الكذب الأبيض هواية وغواية وطبيعة ثانية وثالثة لدينا .

كذبنا ونسينا أصل الحكاية .. كذبنا حتى أصبحنا نصدق

أكاذيبنا .. أصبح الكذب لدينا .. تراثا .

الفاكهة عندهم كبيرة ونظيفة .. ولامعة .. شيء يسد النفس (مالهاش طعم) !

الفاكهة عندنا صغيرة و« عدمانة » لكن طعمها عسل !

نجمة النجوم .. أعظم من سارة برنارد وأقوى من سانجام ! وهم الجيل .. سيدة الإغراء .. عذراء الشاشة .. نجمة مصر والأقطار والبحار والصحارى .. الأستاذ وحيد القرن .. عبقرى الجراحة ومشرط الأطباء .. ولواءات ودكاترة وألقاب وألقاب .

ووزع خمسة دكتوراه فخرية على الأساتذة .. وصلحه !

ولا تنس نظرية « الفوطه الصفرا » .

نظرية تلميع وتوضيب الزبون حتى يغدو الوهم حقيقة !

واثنين جائزة من فضلك .. جائزة مضبوطة .. وجائزة سكر زيادة للهانم حرم الأستاذ .. الرجل قام بالواجب ، والواجب أن نجامله ولنكذب ونصدق أنفسنا ..

فالكذب الأبيض ينفع فى المهرجانات والأعياد والمناسبات . هناك اعتبارات وأصول وواجبات ومجالات ، إنس الحق والمستحق .

فالكذب حلو .. والصدق خيبة .

لوثــة .. تلوث

أعصابى .. أعصابى ياناس .. تعبت هلكت .. توتر وزحام وأبواق سيارات وتراب .. وتلوث .

جرائد ومجلات وحكايات عن ثقب الأوزون والتلوث العضوى والكيميائى ولا حس ولا خبر عن التلوث النفسى والتلوث الأخلاقى !

ما علينا .. الحكاية حكاية أعصابى .. حتى اللقمة لابد من انهيار عصبى قبل الأكل وبعده .

حاسب .. السمك يعوم فى بحيرات من المجارى هذه الأيام .. ابعد عن اللحمة وغنى لها .. فاللحم مصاب بالدرن .. واحذروا الألبان وخطر الإشعاع .. ولا داعى أبدا للخضروات والفواكه التى تتغذى على المبيدات الحشرية والكيماوية. حتى شربة المياه مشكلة وتلوث مياه الحنفية لا تصلح للشرب.. والمياه المعدنية فى زمن أصبحت فيه « الميه بفلوس » تعوم فيها الديدان والطحالب .

أعصابى يا ناس .. أصبحت مصابة بلوثة تلوث !

وجاءنى الخبر اليقين .. أخيرا توصل العلماء الكنديون بعد زراعة الكبد والقلب و« الكلاوى».. إلى زراعة الأعصاب .

تعال .. تعال .. أيها الطبيب المداوى .. تعال أقولها من أعماق الفؤاد مثل عبدالحليم حافظ .. تعال ومعك فريق زرع أعصاب درجة أولى. فنحن نعيش حالة من الانهيار العصبى الجماعى .

ولا تنس أيها الطبيب أن لدينا قحطا فى الأعصاب « الرايقة » .. اجلب معك مجموعة هائلة من المتبرعين .. وحذار أن يكونوا من الإنجليز أو الفرنسيين وابعد عن الطليان .. لأنهم مصابون بهيستريا الليستيريا .

والبيض واللحم والدجاج عندهم فاسد . وحالتهم بالويل . والحال من بعضه ، عليك بالمتبرعين « المربربين» من أهل الدول الاسكندنافية والقطب الشمالى .. ناس يعيشون فى حالة انسجام وهيام دائم . هات لنا هذا المتبرع الذى يعيش فى بيئة تسمع فيها دبيب النملة ورنين الإبرة . ويمضى الساعات مع بيتهوفن وشتراوس . متبرع من تلك البلاد التى اخترعت الساونا . وفن الاسترخاء والبرود اللذيذ . متبرع تجرى فى دورته الدموية كرات ثلجية بيضاء .. فقط! متبرع مصاب بجنون النظافة وهوس حب الطبيعة . متبرع لم ير صرصارا فى حياته .. باختصار متبرع لا يعرف التلوث !



التترات القاتلة !

هل أصابك داء « التتر » مرة ؟

أصابنى هذا الداء وأعراضه : وجع فى الرأس وزوغان فى العين وغليان فى الدورة الدموية .. ويحدث ذلك عادة عقب .. سهرة استعراضية !

فيروس هذا الداء كان ساكنا هامدا يزورنا فى السنة مرة مع كل فزورة رمضانية .. وحتى تتضح الأمور ، فإن « التتر » كان فى الأصل اللحن المميز للبرامج والمسلسلات ثم تحول إلى صورة استعراضية انتقامية .. حيث يهجم طوفان هائل من البنات والأولاد ، يسيرون ويركضون ويهرولون « ويتحنجلون » واحد اثنين ثلاثة هوبا ! يحدث هذا الهجوم التترى فى مقدمة البرامج وأثناء السهرات الاستعراضية الغنائية .. وتزيد حدة « الهيصة والزمبليطة »

فيتمايلون نحو اليمين ونحو اليسار ، يهز الشبان الأرداف وتهز الفتيات الاكتاف .. وتتغير اللقطات والخلجات .. تارة فلاحون وصعايدة يابوى ، وتارة بحارة وحجالة وبمبوطية وسمسمية ، وتارة غوازى وعوالم وتارة من الهند والسند وبنات تلبسن فساتين مهلهلة الأطوال منفوشة الأكمام كسندريللا أيام العز .. وأولاد يلبسون بنطلونات بنفسجية وقمصان ذهبية ماركة رمش العين .

والعدد فى الليمون .. كلما زاد الحشد كلما زادت البركة و«حوقت» الأغنية فى عين المشاهد حتى يصاب بتخمة استعراضية ، وحساسية تترية .

وعلى الرغم من أن المطرب يتغنى بلوعة الهجر وقسوة الزمان وألم الحرمان والجماعة فى الخلفية هات ياتنطيط فى بهجة غامرة واحد اثنين .. ثلاثة .. هوبا !

والموسيقى فى وادٍ ، والكلمات فى شارع ، والحركات فى بلد آخر..

ربما هذا الكلام يقع تحت طائلة التفاهة والهامشية .. لا يحل ولا يربط فى هذا الزمان الصعب .. لكن أحيانا تكون التفاصيل التافهة مرآة لجسامة تفاهة التفاصيل الجادة !

وفاكرين عبدالحليم وأم كلثوم وشادية وزمن الفن بدون تترات

ناس هايصة .. وناس لايصة

نكتة الذين هبطوا من السماء بأنف وثلاثة عيون ذكرتنى بمسلسل تليفزيونى أمريكى اسمه « V » وهو حرف انجليزى يرمز لكلمة «فيكتورى» أى النصر .. تدور أحداث المسلسل حول الذين هبطوا من السماء ذات ليلة فى أطباق طائرة تحمل مخلوقات .. يا للعجب.. بنى آدميين مثلنا مثلهم .

اختلط الغزاة بأهل الأرض الطيبين « الأمريكيين » وأقنعوهم أنهم أتوا من أجل « سبل التعاون الاقتصادى والثقافى المثمر » .. إياها .

صدق الشعب الأمريكى الساذج « فى الفيلم فقط » غزاة الفضاء ، لكن البطل الشجيع قال لحبيبته :

ـ مش عارف قلبى واكلنى و« متوغوش » يا قلبى من حكاية غزاة الفضاء . فقالت الحبيبة : ولا يهمك ياعيونى .. هاجيب لك قرارهم .

فإذا بها تكتشف أن غزاة الفضاء الآدميين يحملون تحت الجلد جسد ثعبان أو حية رقطاء ، أى أنهم زواحف تلبس جسدا آدميا !

يعنى « من بره هالله الله .. ومن جوه يعلم الله » .

وعندما تتلصص البطلة الفضولية ترى النساء الفاتنات والرجال الفتاكين يخلعون جلدهم كل مساء ويلتهمون الفئران الحية و« يزلطونها » فى العشاء « شىء يقرف » .

وهذه هى نهاية من يتفرج على أفلام الخيال العلمى !

يُكَوِّن البطل والبطلة كتيبة مقاومة سرية لمقاومة المستعمرين الذين يسيطرون على وسائل الإعلام الأمريكية والصحف والمؤسسات الاقتصادية والبنوك ، ويحتلون أعلى المناصب فى جميع الوزارات !

وياليل ياعين على المقاومة الشعبية الأمريكية ضد المحتل ، وحكايات التضحية والفداء التى تمزق القلوب وتفرتك المعدة والطحال.

وتجن عقولنا خوفا على بطلنا المغوار ، ونشعر بغل شديد وكراهية مخيفة تجاه قوى الاحتلال الفضائية ، ونشاهد كدابين الزفة والخونة والعملاء والجواسيس الذين ينضمون إلى صفوف المحتل .. لكن الشعب الحر الأصيل ينتصر على المستعمر ، ويكشف النقاب عن المؤامرة الفضائية، حيث جاء الغزاة لخطف شعب كوكب الأرض السمين بغرض التهامه على الغداء والعشاء بدلا من الفئران حيث إنها « شحت » فى السوق الفضائى ، وتباع خارج التسعيرة فى السوق السوداء .

يا غلبى .. يحلمون بالاستعمار والاحتلال ، ويتوحمون على المقاومة الشعبية وكتائب الفدائيين ، ويصبح لديهم شهداء تفصيل على الشاشة الصغيرة !

ناس هايصة .. وناس لايصة

محشى ورق .. بنفسج

الحقونا ...

فى أوروبا وأمريكا و« مقصوفة الرقبة » اليابان يأكلون الزهور ويتعشون بالرياحين !

موضة الدعوة على عشاء الورود منتشرة بين الطبقة « العليوى » حيث انتقلت الزهور من الفازة إلى المعدة بكل ثقة !

تدخل المطعم فيقدم لك الجرسون قائمة يقول لك : طبق اليوم محشى ورق بنفسج وبوفتيك باللافندر وطاجن قرنفل بالباشمل ، والحلو تورتة عصفور الجنة ! ولا تنس المشروبات ، كوكتيل فل وياسمين ..

وصباحكم ورد إن شاء الله .

ثمن الوجبة يتراوح بين ٣٥ و ٢٥٠ دولارا .. أما اليابانيون - يعطيهم ويعطيكم العافية - فيأكلون الذهب ! أى والله .

يقدم مطعم معروف وجبة حسب الطلب فى أعياد الميلاد والزواج وربما الطلاق ! كل المناسبات التى تستحق الاحتفال بها ، تقدم فيها الوجبة نيئة مزينة بأوراق أو على الأصل رقائق من الذهب الخالص .. وثمن الوجبة ألف دولار ..

وعلى حد قول جدتى شهرزاد الأولى .. « اللى معاه قرش ومحيره يجيب حمام ويطيره » !

ونحن لا نلوم الجماعة الخواجات على أكل الورد والفل، فربما يبلعون أقراص الزمرد والياقوت فى المستقبل ! لا نلومهم لأسباب عديدة .. أولا لأن طعامهم « دلع » و «ماسخ » وعليه « جاز » ! فالإنجليز بطاطس فى بطاطس ، والألمان كرنب ثم كرنب ثم كرنب . هذا بالإضافة إلى أنهم جماعة أنانيون لا يهتمون بتلك الفئات التى « تسف التراب » وتعيش تحت حد الفقر والجوع . أما نحن .. فنحن أناس طيبون نسف التراب سويا وإذا وقعنا فى حب إنسان نبلع له «الزلط» وإذا أكلنا الوز وز ، نهضمه بط بط . وأتحدى أن يعرف الخواجات فوائد « الرجلة » و « الجعضيض » و«السريس» التى نعرفها من قديم الأزل .. الفارق أن هناك « ناس » تأكل الورد و«ناس» تأكل الشوك.



مدارس آخر زمن !

«سنيور اسبانيللى» محام إيطالى شاب زهق من مهنة الهم والغم . فالصبح قتلة والظهر حرامية والمساء طلاق ، فطلق مهنة المحاماة بالثلاثة .

واختار السنيور الذكى مهنة غريبة جديدة كانت هواية محببة . هى مهنة الغزل . لذلك قرر أن يفتح مدرسة خاصة نموذجية لتدريس فنون وعلوم الغزل . وانهالت طلبات الالتحاق وكان الإقبال شديدا خاصة من رجال الأعمال وكبار المديرين والأطباء والكتاب .

والغزل الإيطالى لذيذ حيث إن اللغة « مزيكة فى مزيكة » و«الحلوة» عندهم « سنيوريتا » . أما الأمريكيون فأصحاب نظرية

العسل فى الغزل « صباح الخير يا عسل » ، « يا عروسة سكر » ، « يافطيرة عسل » ، « ياقلبى المعسل » . غزلهم بينقط عسل «حاجة تجزع النفس» !

وأعتقد أننا يجب أن نرسل بعثة من الشباب « الفتك » إلى مدرسة السنيور لتولى منصب أستاذ كرسى فى فن الغزل .

ونحن أولاد العرب نستخدم أرقى وأجمل الكلمات عندما نبدى الإعجاب ويكفى أن يقول الواحد منا « باسم الله ماشاء الله » ، أو « صلى على النبى (عليه الصلاة والسلام) » . وهى عبارات لم تعبر عنها أى لغة أخرى بأية حال .

والغزل تراث عندنا نتعلمه ونحن فى المدارس فى دروس النصوص وهذا هو الغزل الكلاسيكى ، أما الغزل العربى الحديث فبدأ على يد عبدالفتاح القصرى بعبارات رائعة مثل : «ياصفايح الزبدة السايحة»، « يابراميل القشطة النايحة » .. وانتهت بعبارات عبثية مثل «ايه ورد الجناين ده» إلى آخر العبارة العجيبة !

وإن كانوا قد تفوقوا علينا فى الذرة والكمبيوتر والإنجازات فنحن قد تفوقنا عليهم فى علوم الكلام الفاضى !

لأننا كما يقول المثل : « احنا اللى خرمنا التعريفة» !!

تساؤلات إنسان غلبان !

الصورة درامية مثيرة تصلح أن تكون مادة لفيلم من أفلام الرعب.. تلك الأفلام التى ترى فيها الناس وقد أصيبوا بالعته « بالجملة » أو يقتلون « بالجملة » من قبل قوى خفية غالبا ما تكون فى صورة «بعبع» أو دراكولا وفرانكشتاين فى يوم الجمعة ١٣ المشئوم ينهش اللحم ويحتسى الدماء . و« البعبع » دائما يبحث عن فريسة .

وكل شىء فى الدنيا عرض وطلب .

حتى الإنسان .. يصبح فى بعض الأحيان فريسة .

وعندما تتعدى المسائل حد الغلب والمر والعلقم ، يهاجر الواحد منا بحثا عن الرزق .. فى « بلاد تجيب وبلاد تودى » وبلاد تلتهمه لحما وتلقى به عظما .. ويعود إلى وطنه الأم راقدا بين الأمتعة والحقائب فى بطن الطائرة ملفوفا فى كفنه !

هل هى غلطة الإنسان الغلبان الباحث عن لقمة العيش ؟

أم غلطة نظام ومنهج وأسلوب فى الحياة ؟

هل تستطيع أن تسأل إنسانا جائعا أن يقدم لك مذكرة تفسيرية عن أسباب ومنطق وأبعاد قضية البحث عن اللقمة ؟ أبحث عن إجابة ..!

لا أدرى إذا كان من الغباء أو الجهل أن أسأل ، فأنا أتمتع بقدر كبير من الرذالة كما أننى فضولية أحب أن أعرف ، وأن أفهم ، وأصر دائما على أن أسأل !

هل يمكن أن يصبح قانون الصدفة هو الإجابة المنطقية لظاهرة ؟

هل يمكن أن يموت .. يتوفى .. يتوقف عن الحياة .. يروح ضحية حادث أليم ألف من الناس .. فجأة ؟ ولماذا لم يحدث ذلك فى العام الماضى أو منذ عشر سنوات ؟

هل عاد الغول ودكتور جيكل ومستر هايد ليمارسوا جرائمهم فى ثوب جديد ونحن على مشارف التسعينيات؟

أذكر مسرحية الأستاذ سعد الدين وهبة « الأستاذ » حيث يصاب الناس فى المدينة « بالجملة » بمرض غريب يصيب نصف المدينة بالخرس والنصف الآخر بالصمم .

من يتكلم لا يسمع ، ومن يسمع لا يتكلم .



المهم فى المسرحية عثروا على الجانى ، فهل هناك أمل فى القبض على دراكولا التسعينيات ؟

أبحث عن إجابة ولا أفهم قانون الصدفة ..!!

خلف .. خلاف

ما أجمل أن تكون لنا شخصيتنا المستقلة المختلفة ، المتميزة ، القوية أو في قول آخر .. أن نستحق لقب بجدارة .. الشريك المخالف.

وهناك شعوب كثيرة نجحت من قبل في أن تجعل الدماغ الناشفة والعند الشديد ، « والخلف خلاف » قاعدة وصفة مميزة . وإذا كان الناس في أنحاء المعمورة يقودون سياراتهم على اليسار ، فإن الشعب الإنجليزي يقود السيارات على اليمين . لماذا ؟ سر خطير على ما يبدو ولم تكشف سكوتلانديارد النقاب عنه بعد . ربما لأن الملكة اليزابيث « شولة » وربما لأن واضع القانون كان « أحول العين.. والنافوخ » ! المهم الدنيا كلها قالت يمين وقال الانجليز ببرود.. لا .. شمال !

وعلى طريقة « الخلف خلاف » خرج علينا البعض بفكرة عبقرية لولبية .. ألا وهي الأجازة الأسبوعية يوم الخميس والجمعة . . وإذا كان العالم كله يقضي أجازته السبت والأحد فهذا يعني أن وقف الحال

ليس من المحال.. لماذا؟ لأن خميس وجمعة عندنا وسبت وأحد عندهم.. وتخبط البنوك والمؤسسات الدولية والتجارية رأسها في حائط برلين .. من قال إن العلاقات السياسية وشئون الاقتصاد الدولى والتجارة والمعاملات المالية والبورصة العالمية تخضع لأمور الأجازات . ولماذا نربط أنفسنا بعجلة الحياة الدولية ؟ أما إذا اقترح البعض الجمعة والسبت وقال : إن خير الأمور الوسط . فهذا كلام مردود عليه :

أولا نحن نود أن نعيش فى كوكب تانى على حد قول مدحت صالح.

ثم إن يوم الخميس أصبح من الفولكلور الشعبى لدينا .. فهو يوم المناسبات والواجبات .. يوم الأفراح والسهر والكوافير وشراء اللحم والعزاء والأربعين والأهم من هذا وذاك أنه يوم التزويغ العالمى .

ولقد وجد المسئولون عن شئون الأجازات أن نسبة الأجازات المرضية والعرضية والجنازات قد وصلت إلى ١٠٠٪ فى المصالح الحكومية فقرروا أن يأخذوا المسألة من « قصيرها » واعتبار الخميس أجازة رسمية دون إراقة لماء الوجه .

ومن ثم فالخميس ياسادة أجازة . وكفى مهاترات وشائعات عن وقف الحال وتعطيل الأعمال ، فهذه فرصة ذهبية للخبطة الأعمال الدولية والمحلية وخمسة وخميسة علينا .. ويوم الخميس .. كمان .

بنطلة لحام

هى لا تريد أن تسمع اسمه ، أو سيرته ، تريد أن تشطب اسمه من الذاكرة بآله حادة ..

طلقها الوغد .. حرق قلبها !

تمزيق الصور وحرق الخطابات موضة عفى عليها الزمن ! إنها تبحث عن الانتقام اللذيذ .. لا يكفى تجريده من أثاث المنزل وترك النذل على البلاطة ، لا يكفى إلقاء متعلقاته الشخصية « جدا » من النافذة .. ماذا تفعل ؟

وهنا يظهر الطبيب المعالج .. جواهرجى المطلقات .. مهنة جديدة اخترعها أمريكى اسمه « كن أولسون » يبدو أنه مر بتجربة مؤلمة هو الآخر !

تذهب المرأة المجروحة إلى الأستاذ أولسون ومعها الدبلة والأسورة والخواتم الذهبية .. فى جلسة العلاج الأولى ، يضع الأستاذ البضاعة فى طاسة الانتقام أمام عين الضحية ويبدأ فى إذابتها ببنطة لحام اخترعها خصيصا لهذا الغرض ، ويتركها تقول ما فى جعبتها .

ـ إحرق ياخويا زى ماحرق قلبى إلهى يريح قلبك .

بعد الجلسة الأولى تشعر براحة وانتشاء وكأنها أزالت جبال الألم الكاتمة على أنفاسها .. وبعد تشويه معالم الحب وذكريات الغرام الضائع .. تتركز الجلسة الثانية فى اختيار الشكل الجديد لقطعة الحلى . والطلب الذى يلقى رواجا بين زبائن العم أولسون شكل الفأر الجبان وتستخدم الفصوص الماسية مكان العينين . وهناك أيضا شكل الثعبان أو الحية الرقطاء والصرصار اللئيم ، أما إذا كانت درجة حرارة الانتقام معقولة ولم تصل إلى درجة الغليان فإن الزبونة طيبة القلب تختار شكل « القرد المسلسل » أو« الذبابة اللعينة » .

ويبدو أن عدوى الانتقام انتقلت إلى مهن أخرى ، فقد حولت جارة أولسون صاحبة محل روميو وجولييت للورد محلها إلى محل انتقامى . وغيرت اسم المحل إلى «حب إيه اللى انت جاى تقول عليه». وذلك عقب أن « قفشت » زوجها النذل الخائن مع أخرى . تقوم أستاذة الانتقام بتصميم باقات الورد الذابل والعفن حسب الطلب ، وترسلها مع بطاقة شتائم موقعة باسم المرسل المصدوم فى حبه . الغريب أن محل الورد الذابل يلقى رواجا منقطع النظير .. حيث انهالت طلبات ضحايا « الحب اللى كان » على المحل .

أما محل البقالة المجاور فقد انهالت عليه طلبات البيض الفاسد والطماطم العفنة . ويفكر الرجل حاليا فى تحويل المحل إلى « مقلب قمامة » وهى فكرة مربحة للغاية فى زمن الحب والوهم والانتقام !

ترى هل تنفع عندنا ؟

فضة المعداوى .. وأخواتها !

اقتراح .. حلم .. رجاء .. استغاثة .

نتوسل إلى عميد كلية الفنون الجميلة لفتح قسم خاص للفترينات .

ولا « تزعلوا » قسم هندسة ديكورات واجهات المحلات .

ماذا حدث لك آخر مرة رأيت فيها فترينة محل أحذية ؟

هذا الكم الهائل المخيف من « فرد » الأحذية الطائرة .. مرة يمين ومرة شمال لابد أن يكون له علاقة وثيقة بظاهرة الهلاوس الاضطهادية والصداع النصفى والغثيان والتخبط الثقافى فى المجتمع.

ولا تقف المسألة عند هذا الحد .. بل أصبحنا نعيش عصر «العمارة الفترينة» لقد أصابتنى نوبة هيستيرية فترينية لأول مرة لدى عودتى من الخارج ذات مساء بعد غياب سنوات ، فإذا بى أرى كما يرى النائم فى كابوس مزعج ، صفوفا من الدمى الخشبية المندهشة فى الدور الأول والثانى .. والثالث .. والرابع .. مخلوقات متجمدة

متحجرة وفساتين عشوائية من كل لون ياحرير وترتر وفصوص تتلألأ .. وإن كانت الفترينة « قزاز » فالسلم نايلو فى نايلو !

ألوان فاقعة تفقع العين والمرارة تحت الأضواء الكاشفة .

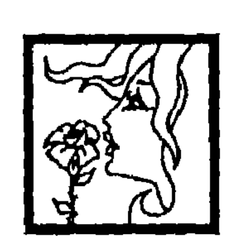
قال الطبيب إننى مصابة بصدمة زجاجية ، كنت أصرخ بكلمة واحدة مثل ماجدة فى فيلم « عمو عزيز » .. لا .. لا .. لا .. وأتساءل لماذا يضىء الناس حجرات نومهم علنا بهذا الشكل .. ماذا حدث ياربى أثناء غيابى ؟ أين ذهب الحياء ؟! لم تكن حجرات النوم فقط، والحمامات والمطابخ وحجرات المعيشة .. أدوار كاملة من الفترينات المضيئة .

فى العمارات السكنية .. أحذية وأحواض .. بيجامات وبوتاجازات وبطانيات ، لعب أطفال ولوازم المطبخ ، سوبر ماركت وسوبر سيرك .

فى العالم المتحضر يحصل صاحب المحل على ترخيص بنوعية «البوتيك» وتحدد له المواصفات المعمارية التى لابد من الالتزام بها حتى لا تتضارب الأشكال الجمالية للمحلات . القانون صارم وفى معظم الأحوال السوق ينفصل عن السكن .

اقتراح .. حلم .. رجاء .. استغاثة .

نتوسل إلى المشرعين وأصحاب القلوب الرحيمة ، اعتبار فرض القبح جريمة مع سبق الإصرار والترصد.. ولنتكاتف معا ضد فضة المعداوى وتابعها .. حمو !



« هرشة » الربع قرن !

ما الذى يولد الانفجار ؟

أهو الكبت فقط .. أم الغضب المكتوم .. أم صبر أيوب .. أم افتراء المفترى وطغيان الطاغية .. أم هو الفقر والعذاب .. أم هو الحرمان الأليم .. أم هى القسوة والظلم ..

أم هو التبلد ؟

ما حدث فى الثمانينيات ونحن نودعها أثار فى نفسى تساؤلات ساذجة بعيدا عن التحليل الفلسفى للنظرية الجورباتشوفية ، وقريبا من نظرية التبلد العاطفى والأخلاقى والسياسى والإنسانى .

كى نناقش نظرية التبلد لابد أن نسأل أولا ماهى تلك القشة التى تقصم ظهر المفترى فجأة وبسرعة كونكوردية ؟

فى الثمانينيات شاهدنا الفيليبينيين يطيحون بماركوس بعد حكم ديكتاتورى استمر ٢٠ عاما ، والايرانيين يطيحون برأس الشاه بعد تسلط فردى استمر ٣٨ عاما ، حتى جزيرة هايتى « العدمانة » استلمتها أسرة دوفالييه وامتصت خيرها لمدة ٣٣ عاما .. ثم جاء

الألمان الشرقيون ليحطموا حائط العار العظيم بعد ٢٨ عاما ، وختمها الشعب الروماني و« خلصوا » على المرحوم تشاوشيسكو قبل أن يفكر مخلوق فى مد يد المساعدة للطاغية الذى حكم بالنار والحديد ٢٥ عاما !

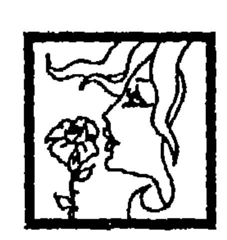
أين كان هذا « العالم » كل هذه السنين ؟

فالطاغية طاغية من يومه ، ما الذى جعل تلك الشعوب تجلس وتضع ساقا على ساق ، وتتفرج على مسلسلات الافتراء ، والقمع ، والنهب ، والرشوة ، والتهريب ، والفساد ، والإرهاب العقلى ، والتصفية الجسدية ؟

ماهى قشة الثمانينيات ؟ هل هى هرشة الربع قرن أو السنة الـ ٢٥ فى قصة زواج طاغية بشعبه !

هل لابد أن يمر ما يزيد على الـ ٢٥ سنة حتى يصل الناس إلى تلك الدرجة من التبلد والتعود والتنبلة ؟ ، تلك الدرجة من تشبع الدماء بالسلبية المطلقة والانقياد والتواكل والاستسلام .. فيدركون فجأة أن البلاء نخر فى عظامهم وأن الجثة على وشك أن تصبح هامدة ، فيصرخون ويتعلقون بآخر خيوط الأمل من أجل انتصار غريزة حب الحياة !

إذن فالتبلد يولد الانفجار والصحوة ، والسكوت ليس دائما علامة الرضا .. ولله فى خلقه شئون وشعوب !



نربط أم لا نربط ؟

الحمد لله هدأت الأمور واستتب الأمن وذوت قضيـة الموسم فى ردهات النسيان ، وحصلت المجنى عليهن على الحكم بالبراءة ..

القضية التى شغلت تفكيرنا وحياتنا مع بداية التسعينيات حيث إننا قوم لا نشغل أنفسنا بأمور تافهة كتحديد النسل أو مناهج المدارس الانتقامية والتعليم إلى الوراء أو قضايا مثل إنتاجية الفرد أو عجز الميزانية .. فتلك قضايا راحت عليها واستهلكت وأصبح الكلام عنها مملا ويعل .

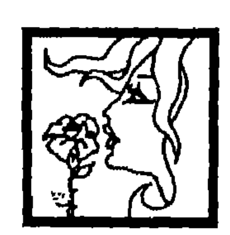
القضية ياسادة هى بلوغ سن اليأس التليفزيونية .. ومحاربة قرار بعدم ظهور المذيعات اللاتى تخطين الأربعين فى فقرات الربط ..

قال البعض الأربعين سن نضوج وجمال المرأة .. وقال البعض الآخر هذا قرار رجالى .. وقال البعض الثالث فى الخارج تزيد قيمة المذيع كلما زادت خبرته ..

وأعتقد أننا نوافق جميعا على هذا الدفاع المستميت عن حقوق المذيعات ، ولقد « أفحمتمونا » .. ياسادة ..

لكن تعالوا نتحدث بموضوعية وحيادية .. لماذا لم يدافع أحد عن حقوق الجيل الجديد الذى يبحث عن « عين إبرة » يثبت وجوده فيها .. إذا احتل كل منا تلك المساحة المحدودة « ولبد » فيها مايزيد على ربع قرن ، هل ينتظر الجيل الجديد فرصته عندما يبلغ الستينيات؟ هل نفعل كما فعل حكام الصين الذى كان أصغر واحد فيهم يحصل على فرصته وهو يقترب من السبعين ؟ أم هو نظام وراثى تليفزيونى يذكرنا بابن هيلا سيلاسى الذى ظل ينتظر منصب الامبراطور . حتى سن الستين. أطيح بالوالد ، دون حصول الابن على المراد ؟ ثم إن القضية بصراحة وبعيدا عن قانون الوراثة والأقدمية هى نربط أم لا نربط !؟

وإذا قارنا أنفسنا بالخارج واحترام قيمة المذيعة ، فلابد أن نذكر «الربط» كاختراع لابد أن نسجله فى الشهر العقارى. تليفزيونات الدنيا تخلو من « مذيعة الربط » لأنهم يعلمون أن المشاهد سيعرف بالتأكيد أنه سيشاهد فيلما وسيقرأ أسماء العاملين به فى المقدمة .. وإذا كانت أغنية ، فلابد أنه سيدرك أنها أغنية بدون « ربط توضيحى وتفسيرى » .. فمذيعات الربط يفسرن الماء .. بالميه .. قيمة المذيع فى قدرته على الإعداد والإلقاء والدخول إلى عقل المشاهد قبل قلبه ..



بالذمة ماهى القيمة والخبرة التى تتطلبها عبارة : والآن سيداتى سادتى إليكم هذا البرنامج من تقديم.. وإعداد .. وإخراج .. !

ناولنى الكافيار

الناس .. ياناس ، فقدت القدرة على الدهشة .. والتعاطف وربما الإحساس .. أصبحت الدهشة كلمة شاعرية تذكرها فقط فى أبيات الشعر الرومانسى .

انظر حولك .. لن ترى فقط سباق الأرانب فى الإنجاب اللامسئول.. بل سترى وتسمع العجب .. اسمع :

ـ مات بورَم فى المخ فى ريعان الشباب . وكانوا يصورون الجنازة بالفيديو !

ـ ياسلام .. تقدم تكنولوجى مذهل ، لكن تصور يا أخى جدته البالغة من العمر تسعين عاما مازالت على قيد الحياة !

نعم .. هناك دهشة .. لكنها دهشة مخجلة ، دهشة الفاقد للإحساس الإنسانى .. أما الدهشة الحقيقية فمن صاحب المصاب الأليم الذى يصور الجنازة بالفيديو ، يستمتع بتسجيل الضيوف الكبار (أقصد المعزين) من باب الأبهة والتفاخر (وشوف من حضر فى جنازتنا ولم يحضر جنازتكم) !

والدهشة المؤلمة ، أيضا ، من الصديق الذى لم يحزن على الزهرة

اليانعة التى اختطفها المرض اللعين ، واندهش من أن الجدة مازالت على قيد الحياة !

وأسمع ، أيضا ، هذا الحوار الذى دار حول مائدة غداء فى فندق خمسة نجوم :

ـ هل قرأت خبر الأم التى قتلت أولادها ، والابن الذى ذبح أباه ، والأب الذى اعتدى على المحارم ؟!

ـ ناولنى الكافيار لو سمحت .. ثم قرأت الخبر ، لكن هل سمعت عن الرضيع الذى وجدوه فى صندوق القمامة فى عز أمشير ؟ وأتوبيس المدرسة الذى اصطدم بالقطار أمس ؟

ـ ناولنى « السيمون فوميه » .. ياعم .. هذه بلد ؟!

حوارات « فيللينية » وكأننا نعيش تحت الأرض! ثم مادخل البلد فى هذه المصائب ؟ مالها البلد وسائق « مبرشم » أو مجنون مصاب بلوثة أو إنسان معدوم الضمير .. هناك كوارث وجرائم فى نيويورك ولندن وباريس ، هناك قطارات تدخل فى بعضها وضحايا تغتصب وتقتل ولا يلقون اللوم على البلد !

هل حان الأوان أن ننتبه ، ونتوقف عن إلقاء اللوم فى الهواء ؟

هل آن الأوان للدهشة الحقيقية أمام المصائب ؟



هل آن الأوان لندرك أن تهجير « نصف مليون » يهودى سوفيتى للضفة الغربية وغزة جريمة لابد أن تصيبنا بالدهشة التى تحرك ضمير أمم وشعوب ؟

حشا .. يحشو .. محشى !

« بيتر دركر » يقول إننا دخلنا فى قلب القرن ٢١ .. « خلاص » !

من هو الأستاذ بيتر ؟ واحد من أشهر خبراء الإدارة فى العالم .

ويضيف الأستاذ بيتر إنه على الرغم من أننا لا نعرف ماهية الحقبة القادمة إلا أننا ندرك بما لايدع مجالا للشك أن الحقبة الماضية «فاشلة» وخلال الـ ٥٠٠ عام الماضية كان القرن « يشبك » فى ذيل القرن دون أن نشعر بأى فرق !

والمفاجأة أن القرن ٢١ بدأ قبل موعده بـ ٢٥ سنة .. بربع قرن !

القرن ٢١ .. قرن التغيير الديناميكى .. أو ما يسميه « مجتمع مابعد رجال الأعمال » . البيزنس و « الطمع » مازالا يحتلان مكانة عالمية ، لكن قيم الناس تغيرت ، من قيم « البيزنس» إلى قيم «التخصص» .. مجتمع رجال الأعمال يتوارى ، ومجتمع المعرفة يتقدم ، وبعد ماكانت المعرفة « حلية » أصبحت « المحور » . يصيبنا الذعر إذا حصل الولد على درجات أقل من زملائه فى الحساب ! وذلك يعنى أن المعرفة هى المستقبل .

ليس المهم كيف نتعلم .. ولكن ماذا نتعلم ؟

الكتاب المطبوع أداة العواجيز .. أما الصغار فيعيشون عصر

الكمبيوتر والفيديو .. عصر التعليم التكنولوجى .. تعليم زمان النظرى كان يؤمن بأن التعلم والتعليم وجهان لعملة واحدة .. هذا خطأ .. فالتعلم يعرف من خلاله الإنسان معلومة ، والتعليم يقوم فيه طرف بالتدريس لطرف آخر .. كلام صعب الفهم ، يعنى « عصر الكُتّاب » انتهى .. والتعليم الذاتى أصبح هو المستقبل لأن لدينا «أدوات» التعليم الذاتى !

وعندما أكد الرئيس مبارك فى زيارته لمركز البحوث التربوية «اللى بيحطوا المناهج» أن التعليم هو المستقبل .. وقال لهم : «بطلوا الحشو» الأولاد يعيشون عصر المعلومات .. والأفكار المتحركة .. عصر التعامل مع الحقائق الجديدة .. لا يمكن أن نعيش حالة من الفصام التعليمى بين « مناهج الحشو » وعصر التعليم التكنولوجى .. قال له أحد الأساتذة : الذين يشكون من « الحشو » أصحاب شكاوى كيدية ولهم نوايا تضليلية وأفكار تآمرية !

فسأله الرئيس مبارك .. عندك أولاد ؟ فى أى فصل ؟ ألا يشكون من الحشو ؟

أجاب بأن ولده فى السنة الخامسة .. ويشكو !! هل يمكن أن تكون شكوى طفل فى التسع سنوات تآمرية ؟

هذه صرخة لأصحاب القرار فى دنيا التعليم بدون نوايا ومآرب جهنمية . ألقوا بالحشو من تاسع دور..

و .. هاتوا ورقة وقلم ومراية ،

وافتحوا الشبابيك لنور الكمبيوتر .. ياللا !!

فن « توظيف » الأحقاد !!

هل لاحظتم المدرسة الجديدة فى التمثيل .. المدرسة الانتقامية ؟!

يتلخص أسلوب الممثل الانتقامى فى الخطوات التالية :

ـ صوت عال فى مرحلة وسط بين « الزعيق والردح » .

ـ تعبيرات « غِلأوية » فى منطقة العيون والحواجب .

ـ ضغط على الشفاه وجز على الأسنان .

ـ كراهية للدنيا والعيشة عند أداء أى مشهد ومناقشة أى موضوع.

ـ لكنة المعَلمِين والمعلمات (فى المدبح وسوق السلاح وليس فى المدرسة) ، وهى لكنة تطجين مع حشرجة فى الصوت ناتجة عن انحشار قطعة من الدهن فى الحلق !

ومن أبرز المشاهد التمثيلية الانتقامية النموذجية ، مشاهد المسلسل العربى ، خاصة لو ضم المشهد الجنس الناعم ، الممثلة الانتقامية تواجه منافستها برفع الحاجب الأيسر ، وإلقاء خصلة شعر إلى الوراء ثم تبدأ فى الضغط على حروف السين والتاء والميم والكاف ، فى سيل من الضربات القاضية .. أما المضروبة المسكينة .. فلا خوف

عليها (وراحت عليك يافاتن حمامة) فتوجه إليها نظرات نارية حارقة وتتمتم قائلة : كل ليل وله آخر .

(قطع) ..

وتدور الأيام ، ونجد المضروبة أصبحت الضاربة .. وقد خلعت المنديل « أبو أوية » وحل محله « قبعة بشبكة وريشة » ، ويشفى الغليل والعليل .

لكن هل يشفى الغليل ؟ لا أدرى .. أصبحنا نعيش فى مجتمع متربص .. مجتمع تنتعش فيه كلمات غريبة مثل : « النق » .. وتزدهر فيه دراما الأحقاد .. مجتمع لا يعرف معنى « اختلاف وجهة النظر » ، بل يعرف قانون : «أنا أختلف معك .. إذن أنا أكرهك»!

مجتمع غادرته مشاعر إنسانية أساسية ، هاجرت المودة وسافر الود والتعاطف و« الإنسانية » دون رجعة .

والتمثيل الانتقامى وليد شرعى لتجارة استثمار الضغينة وشركات توظيف الأحقاد . حتى الكوميديا .. أصبحت كوميديا التربص ..

نحن نضحك ملء أفواهنا عندما يسخر الممثل الكوميدى من رموز المجتمع .. نجحت « مدرسة المشاغبين » وجرت وراءها عشرات المسرحيات لأنها سخرت من الأب والناظر والمدرسة ، لم تنجح لأنها كوميديا المفارقة أو الموقف ، بل لأنها كوميديا الاحتقار !



ومازلنا كل يوم .. نتربص لبعضنا البعض .. ونضحك !

إنه حقا شيء يُبكّى !

و « لهفت » كل شيء !

سرقتنى الشغالة !

شالت الجمل بما حمل.. شقاء وعرق سنين ضاع فى دقائق .. «لهفت» كل شىء على طريقة سرقة بالتقسيط ، كل يوم قطعة ! أصبحت فريسة للصة درجة عاشرة ! أروح فين وآجى منين ياناس ؟ القسم ؟ البوليس ؟ دخول القسم « زى عود الكبريت » القسم للمجرمين والسفاحين .. وأنا مثلى مثل أناس كثيرين أخاف من العسكرى .. من الحكومة !

لكن «الشغالة» مقصوفة الرقبة لم تعترف .. توكلت على الله .. ودخلت القسم برجلى اليمين ! استجمعت شجاعتى وقلت للضابط : « البنت حرامية .. جاءت خالتها لزيارتها ترتدى فستانى (السينيه) اليتيم « إيف سان لوران » سألنى الضابط (بينى وبينكم الضابط كان دائما فتى أحلامى .. والقسم به ضباط شباب زى الفل .. واكتشفت ان القسم مكان لا بأس به للعثور على عريس أبهة) نعود لموضوعنا .. سألنى الضابط : ماهى المسروقات ؟ فقلت له بثقة بلهاء: والله ياسعادة البيه .. لا أعرف .. لأنى مغيبة عن الوعى كما يصفنى زوجى ولأن عندى « عقدة مفاتيحية » ولا أستطيع الحياة مع أبواب مغلقة وأدراج « مصوجرة » وخزائن محكمة ، وأنا أحب الحياة مع الأشياء على سجيتها ، أترك فساتينى تتنفس ، وأزين المنضدة بعقد والكرسى بغويشة ، ولا أحصى أشيائى ، لأنى أعتبر ذلك نوعا من « القر » على الذات .. والأهم من هذا أن لقبى « سرحان » حيث أن جدى كان ضعيفا فى الحسابات الحياتية والذاكرة الاقتنائية ..

ناهيك عن مذهبى الذهبى « إطعم الفم تستحى العين » ، وإصابتى بداء الثقة لاعتقادي بأن الخادمات بريئات حتى تثبت سرقتهن . نظر إلى الضابط نظرة أبلغ من أى عبارة !

سأل الشغالة: ماذا سرقت ؟ وكانت المفاجأة الكبرى .. قائمة طويلة عريضة .. كل ماخف وثقل وزنه وغلا ثمنه وسحبت الملابس الصيفى فى الشتاء ، وطقم الفضية الذى نقدمه للضيوف فقط ومئات الأشياء.. غلى الدم فى عروقى فقلت لسعادة الضابط : إضربوها .. إجبروها على الاعتراف كمان .. ضحك الضابط الطيب جدا (تصدقوا) ، وقال : نحن لا نضرب أحدا .. ستعترف عندما نحبسها فى التشريفة والتخشيبة وتلقى الأمرين على يد زميلاتها فى الكار.. أما أنت أيتها الصحفية فسنحجزك بتهمة التحريض على الضرب والعنف وسنبلغ عنك زملاءك « بتوع الحوادث ».. قلت له : الحقيقة يابيه إنه الفولكور السينمائى المترسب فى نافوخى عن القسم .. وجلست أشاهد طابور المجرمين والقتلة والنصابين .. و« كانت ليلة » فى القسم .. أدركت أن الضابط والعسكرى يخاف على ويحمى حقى، وأننا نعيش فى أبراج عاجية نخاف سيرة القسم ، وقاع المجتمع يزخر بالخارجين على القانون ، وأن القسم هو صمام الأمان فى حياة كل منا .. أعادوا إلى أشيائى .. كما أعادوا لصديقتى عقد جدتها الماسى الذى قسمه السارق إلى أرباع .. فجلبوه إليها بعد ٦ أشهر من أماكن متفرقة !

ومن ثم أقترح أن نطلق على أقسام البوليس «صمام أمان الدقى» « صمان أمان الجيزة » .. ويكون الشعار صمام الأمان فى خدمة .. أمثال الست سرحان .



الحكاية مش حكاية .. إيدز !

المشكلة يا أخوتى لا تكمن فى أن الرجل أقام ٣ سنوات بدون إقامة ولا من شاف ولا من درى .. لأن هذه غلطة تدخل تحت بند الفولكور الشعبى فى فنون الإهمال .

والمشكلة يا إخواتى لا تكمن فى أن هذا المخلوق البشع ينقل الإيدز لأطفال الحرمان .. أطفال الشوارع .. وهذه مصيبة تدخل تحت بند بلاوى الصحة العامة ، فالموت « بالكوم » فى الطرقات على كل شكل ولون ، وقد تختلف الوسيلة !

والمشكلة ياعالم ليست فى أن الشوارع مكتظة ببراعم صغيرة ، هى فضلات أوضاع اقتصادية ، ونفاية فروق اجتماعية ، وقمامة علاقات إنسانية متفسخة ! ومليون مولود فى ٨ شهور .. ومدارس ع الترعة.. وأوبرا ! وهذا يدخل تحت بند الدوائر المفرغة التى يدور فيها الإنسان حول نفسه فيصيبه الغثيان لكنه يصر على الدوران ..ولا ينظر حوله .

المشكلة يا ناس .. ياهووه ، هى مشكلة .. من أين لك هذا ؟ أو من أين أتى هذا ؟ من أين أتى هذا المخلوق البذىء ؟ ولماذا اختار أو اختاروا له .. القاهرة الساحرة ليمارس فيها سفالاته .. وإيذره ؟

لا يهم إذا كانت جنسيته من الولايات المتحدة الأمريكية ، أو الولايات الملوخية .. المهم ياعالم .. ياخلق ياهووه .. من أين أتى هذا ؟

يجب أن نتوقف ونسأل .. لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وأين ؟ .. وماذا ؟؟ إذا عرفنا الإجابة ـ وأنتم خير العارفين ـ سنعرف موقع الإيذر من الإعراب فى جملة : كيف تدمر عدوك ؟ وكيف تغتصب شعبا ؟

عفوا .. الاغتصاب ليست الكلمة المناسبة ، فالكلمة التوصيفية لما حدث .. ليست الاغتصاب ، وليست احتمالات عدوى الإيدز ، ولكنها فعل فاضح ينأى قلمى وترفض أصابعى ويرتعد عقلى وتنشل أطرافى لدى ذكره ..

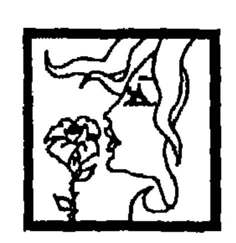
مصيبة .. تصيب الناس فى أعز ماتملك ! ألا تستحق أن نتوقف أمامها ؟! ثم ماهى مسألة سفر المخلوق ؟ و« باى باى شلة » ! لقد كان الرجل يمارس الفسق ، والدعارة و والبذاءة ، واغتيال البراءة ! إنها تهم تقطر دما !

قد يكون الفسق أشد عاقبة من القتل .. قد يقتل الإنسان فى لحظة جنون ، لكن الفسق هو تهمة

بالتأكيد ترتكب مع سبق الإصرار والترصد .

أليس من حقنا أن تكون محاكمة هذا المخلوق .. علنية ؟!

فالحكاية مثل حكاية إيدز .. حكاية الناس اللى ورا الإيدز ..



أما إذا كان القانون لا يحمى المغفلين من الإيدز.. فحمدا لله على قانون السماء : « رب نجنى وأهلى مما يعملون » (الشعراء الآية ١٦٨) .

الإنسان « المزفلوط » !

بالبلدى « مزفلط » .. وبالعربى « لزج » .. وفى كل الأحوال يمكنك أن تطلق على هذا النوع من الناس ما تشاء .

أنا أطلق عليهم « المزفلطون » .. واللزوجة « شىء بيقرف » . يلتصق .. يزكم الأنوف .. الإنسان المرهمى !

و « المزفلط » يعيش ويتعيش على ديدان صغيرة اسمها الكراهية والحقد والغيرة .

قال لى صديق من فريق الحنجورى (المثقفون المتشددون) : كفى ياعزيزتى إنك تثيرين « زوبعة فى فنجان » !

هل هذا صحيح؟ المصيبة إنه لم يعد لدينا رد فعل تجاه «اللزوجة»!

تنهد صديقى كما يفعل معظم الأعزاء فى حواراتى معهم ، وهى وسيلة تعبير مهذبة عن خيبة أملهم فيما يرون أنه « قلة عقل » أو «عقل ستات» من جانبى !

ـ يا صديقتى فلنقل إنها ذرات تراب على سطح نفسك اللامع !

ـ لا ياصديقى إنها صندوق قمامة « مزفلطة » .. انصبت فوق رأسى مجموعة من المخلوقات المتسلقة الوصولية المنافقة .. الكذابة.

ـ النفاق ياعزيزتى شىء لذيذ ، الكذب ديدان شوكولاتية ، النفاق مع بعض بهارات الكذب طبق دجاج بالكارى .. حريف ومثير .. إننا نستمتع بالفضائح ، ونحب « موت » المسلسل الدرامى الذى يجعلنا نبكى بدلا من الدموع .. دما !

شباب الأنابيب !

أمى « تفرسنى » فى كل مرة تتحدث فيها عن جيل زمان وأيام زمان ، أيام كانت العشر بيضات بثلاثة ملاليم ، وكان الرجل «بشنب» ويرتعد أن يدخن سيجارة أمام أبيه سى السيد !

أدور فى نفس الدائرة ، فأمصص الشفاه مثل أمى ، وأشعر بالرثاء.. لست أدرى الرثاء لجيل المعاناة ، أم الرثاء « جيل الأنابيب» !! هناك فئة من شباب اليوم هم « شباب على نار » .. جيل مستعجل .. يريد كل شىء فى ثانية .. يريد الوظيفة والفلوس والشقة والسيارة و « الطيارة » والعروس وليلة الحنة فى الهيلتون والفرح فى سميراميس .. جيل الطموح الصاروخى .

وجيل الوصول الكونكوردى لا يهمه أن يجعل من والدته بنك التسليف ، ومن أخته سندات استثمارية ووعاء إدخاريا ، ومن ابن خالته كوبرى قصر النيل !

وشباب الأنابيب يحتقر بشدة الهياكل العظيمة (الأجيال السابقة) التى شربت المعاناة معبأة فى زجاجات ، أجيال كانت ترى الكفاح والسجن من أجل كلمة شرف وسام استحقاق من الدرجة الأولى .

وربما كان الواحد من هذه الفئة المحدودة من جيل الأنابيب « مظلوم مظلوم ياولدى » لأن جيل المعاناة جاء من قنوات شرعية .. قنوات الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ، وعلى الرغم من المعاناة إلا أنه كان هناك مستقبل محسوس ، وآمال وأحلام وطنية وقومية ، أما جيل الأنابيب فجاء من قنوات الهزيمة ، ولد مع النكسة وفتح عيونه على انفتاح الانفتاح .. لذلك فهو فى غاية الاستعجال ، لا يرى

شباب الأنابيب !

أمى « تفرسنى » فى كل مرة تتحدث فيها عن جيل زمان وأيام زمان ، أيام كانت العشر بيضات بثلاثة ملاليم ، وكان الرجل «بشنب» ويرتعد أن يدخن سيجارة أمام أبيه سى السيد !

أدور فى نفس الدائرة ، فأمصص الشفاه مثل أمى ، وأشعر بالرثاء.. لست أدرى الرثاء لجيل المعاناة ، أم الرثاء « جيل الأنابيب» !! هناك فئة من شباب اليوم هم « شباب على نار » .. جيل مستعجل .. يريد كل شىء فى ثانية .. يريد الوظيفة والفلوس والشقة والسيارة و « الطيارة » والعروس وليلة الحنة فى الهيلتون والفرح فى سميراميس .. جيل الطموح الصاروخى .

وجيل الوصول الكونكوردى لا يهمه أن يجعل من والدته بنك التسليف ، ومن أخته سندات استثمارية ووعاء إدخاريا ، ومن ابن خالته كوبرى قصر النيل !

وشباب الأنابيب يحتقر بشدة الهياكل العظيمة (الأجيال السابقة) التى شربت المعاناة معبأة فى زجاجات ، أجيال كانت ترى الكفاح والسجن من أجل كلمة شرف وسام استحقاق من الدرجة الأولى .

وربما كان الواحد من هذه الفئة المحدودة من جيل الأنابيب « مظلوم مظلوم ياولدى » لأن جيل المعاناة جاء من قنوات شرعية .. قنوات الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ، وعلى الرغم من المعاناة إلا أنه كان هناك مستقبل محسوس ، وآمال وأحلام وطنية وقومية ، أما جيل الأنابيب فجاء من قنوات الهزيمة ، ولد مع النكسة وفتح عيونه على انفتاح الانفتاح .. لذلك فهو فى غاية الاستعجال ، لا يرى

عتبات المستقبل واضحة ، ومن ثم فإن الوصايا العشر التى ينصحك بها شباب الأنابيب فى سكة الصعود السريع هى :

١ ـ كن مغرورا واحتقر العالم من حولك .

٢ ـ كن سليط اللسان وقحا .. تكسب بالجعجعة و« يكش » أى محترم ، يامحترم ، أمامك على الفور عشرين خطوة .

٣ ـ كن أنانيا ، ففى الأنانية السلامة وفى العطاء الندامة .

٤ ـ كن « بلطا » فأول طريق السقوط هو التعاطف الإنسانى والحساسية المرهفة .

٥ ـ كن جلفا فظا . واتق خير من أحسن إليك !

٦ ـ لا تستخدم غير كلمات : عايز .. أريد .. فتلك هى الشفرة السرية للوصول .

أكتب هذا الكلام وقلبى موجوع بعد أن جاءنى شاب على نار يعمل فى مجال الإعلام وقال لى بكل ثقة ، لا أدرى لماذا لا يتنازل الزميل.. عن عموده اليومى والزميل .. عن برنامجه الأسبوعى لى.. إنهما يكتبان ويذيعان منذ ما يزيد عن ١٥ عاما ! متى سيصبح لى عمودى اليومى إذن ؟

وجاءتنى شابة كونكوردية طموحة بفكرة موضوع رائع « مسروق » من أعز صديقة لها ، فهذا زمان « اهبش الفرصة هبشا » .

أحسدهم .. على شجاعتهم وربما على وقاحتهم ، وأبكى على أطلال جيل السلاحف الخائب ، وقيم الاحترام والخبرة والعطاء ..



وحتى لا يفهمنى أحد خطأ ، أنا ضد فكرة الأقدمية ، فالموهبة لا تتطلب أقدمية ، فهذا نظام متخلف، وبصراحة ، لكن طريق الوصول «البولمان» هو الموهبة الحقيقية .. الموهبة .. ثم الموهبة ..

أبوك « الفريزر » .. مات !

كانت الدنيا لا تكاد تسعهما من الفرحة .. بعد صبر سنوات ومواجهة جبال الصعاب ، تزوج السيد « جون » من السيدة «جوليا ».. وعاشا فى « تبات ونبات » ، ولكنهما لم يخلفا « لا صبيان ولا بنات » ، لأن « جون » - يا كبدى عليه - مرض بذلك المرض اللعين ، اللهم احفظنا « بعد الشر عنا وعن الحبايب » . وكان لابد من جلسات الأشعة المفزعة ، أول خطوة على طريق الموت . وجاءت السيدة « جوليا » بفكرة عبقرية ، رابطة تربطهما للأبد .. «البنون».

ولأن السيد جون « كان بعافية حبتين » إتفق على ايداع «الحيوانات المنوية» فى بنك التلقيح الصناعى ، وهى ظاهرة منتشرة ومخيفة فى الغرب ، حيث يذهب « الشاب من دول » للتبرع (أعوذ بالله من غضب الله) مقابل ٤٠ دولارا . وقد بلغ عدد مواليد التلقيح الصناعى لنساء يجهلن هوية الأب ٤٠٠ ألف مولود فى العام الماضى ! هذه كارثة ياعالم يا متحضر !!

ترك « جون » لزوجته (فى البنك !) ما يمكنها من إنجاب دستة أطفال .. ذهبت إلى البنك فتحوا الثلاجة ، وقاموا بتلقيحها . (ناس عمليون أما نحن فرومانسيون نخشى حتى ذكر اسم المرض اللعين) . وأتذكر حكاية حكاها لى الجراح العبقرى « أسامة سليمان » عن محاضرة ألقاها فى جمع غفير من جميلات جمعية الرقة والأنوثة الخيرية ، وحذرته الحاضرات قبل المحاضرة من ذكر اسم « اللى ما يتسمى » فقال لهن الدكتور « اسامة » : من منكن من مواليد برج

السرطان ؟ فرفعن الأيدى الناعمة بالعشرات ، اعتقادا أنه سيقرأ لهن الطالع ! فضحك الدكتور قائلا : إن كلمة سرطان ما هى إلا توصيف لمرض مثل الأنفلونزا والإسهال والفتاق ، ولا حياء ولا خوف فى العلم.

ماعلينا .. تم تلقيح السيدة « جوليا » وحملت ، تسعة أشهر عاشتها فى سعادة غامرة فى انتظار المولود السعيد ، كانت «جوليا» جميلة كالبدر فى سماه ، بيضاء ، « فل وقشدة » ، أما « جون » فكان يتمتع بعينين فى زرقة اللازورد ، وبشرة بلون التفاح .. أى مولود سيكون : ولدا أم بنتا ؟ أى جمال وأى طلعة بهية ؟

وجاء اليوم الموعود .. مات الأب ، وولدت الطفلة .. لطيفة ظريفة « لها ضحكة جنان » ، لكنها سوداء كالفحم !

سمراء أفريقية صميمة ، شفتان غليظتان ، وأنف أفطس وشعر - يا ليت شعرى - جعدى × جعدى !

ياللهول ، هذه ليست ابنتى ، هناك خطأ ، غلطة ما .. وتحاليل دم، وجينات ، ووراثة ، ومضبوط كلامك يافندم ، حدث خطأ غير مقصود ، لقد تم تلقيحك ببويضة ملقحة لأم وأب سود ، غلطة البنت العاملة ، وهى تخرج الأنبوبة من الثلاجة يافندم .. لكن ، وآه من كلمة لكن ، لقد حملتها تسعة أشهر .. ابنة من إذن ؟

قررت « جوليا » أن تجرجر « البنك » فى المحاكم : قضية مثيرة ، ومازال التحقيق مستمرا .. وأستغفرك يارب وأتوب إليك .. متى يتوقف بنو الإنسان عن « اللعب » فى المناطق المحرمة . أما «جوليا» فينطبق عليها المثل القائل:

« أبوك البصل وأمك التوم ، منين تجيب الريحة الحلوة يامشئوم » !

ابحث عن .. ضميرك !

حكت لى صديقة حكاية مؤثرة عن رجل مسكين وجدته يتسول فى الشوارع فى حالة يرثى لها وقد أصابه الهزال والضعف حتى كاد أن يسقط أمامها مغشيا عليه .. اكتشفت أنه كان يعيش حياة كريمة حتى أصيب بداء الكلى وباع كل ما يملك من أجل العلاج وهو يتسول ثمن غسيل كليته ؟

لطمتنى الحقيقة المؤلمة .. وتذكرت ذلك الطفل البرىء الذى أعطيته « عيدية » العيد فقال لى سوف أشترى بها دما لأبى المريض .. عبارة كانت تقف فى حلقى كلما تذكرتها وأشعر بتقصيرى الشديد تجاه الآخرين فى هذا العالم .

فى سنوات الغربة اكتشفت أنهم فى الغرب ، يعيشون جزرا منعزلة عن بعضها البعض ، قد لا يعرف الجار جاره ، إلا أنهم يعرفون شيئا اسمه العمل التطوعى والتبرعى ، أى أن يتطوع الإنسان بوقته وجهده وماله من أجل مساعدة المرضى والفقراء .

سألت نفسى : من منا فكر فى يوم من الأيام فى تكريس بعض ساعات فى الأسبوع ، أو حتى فى الشهر من أجل مريض لا يعرفه أو طفل معوق غريب عنه فى حاجة إلى الحنان والتعليم ؟

أشعر بضآلتى عندما أدرك أن فى هذا العالم ملايين الأطفال المعوقين وأنا لم أفعل من أجلهم شيئا ! هناك جمعية اسمها « الحق فى الحياة » قامت بتأسيسها مجموعة صغيرة من أهل الخير وأهالى الأطفال المساكين ، لكنها تلقى صعوبات مادية مثلها مثل جمعية النور والأمل التى ترعى أبطال الحرب و المسنين والمعوقين .. هل فكر أحد منا فى صعوبة الحياة لرموز التضحية .. شباب فى عمر الورود ، أعطى بسخاء للوطن ومن أجلنا جميعا ..

ماذا أعطيناهم ؟ هل فكر أحد منا كيف يعيش محمد وأحمد ومصطفى الذى فقد ذراعيه وساقيه ؟ كيف يعيش صعوبات الحياة اليومية ؟

ماذا فعلنا من أجلهم ؟ ماذا فعلنا من أجل الأطفال الزهور ضحايا اللوكيميا فى معهد السرطان ، وقد أثبتت التجارب العملية إمكانية الشفاء فى الغرب بنسبة ٨٠٪ ، وعندنا يروح هؤلاء الأطفال ضحية المرض لقلة الموارد ؟

أتمنى أن يكون شهر رمضان هو الشهر الذى أعيد فيه حساباتى فى أسلوبى التقليدى الأنانى فى الحياة ، فالحياة حق لهؤلاء جميعا ، أتمنى أن يتذكر كل منا أن زكاة المال قد تشترى جهازا لطفل مسكين أو تفتح آفاقا جديدة وتخلق آمالا حلوة لبطل نسيناه فى خضم أنانيتنا اليومية .. أو تمكن مريضا يائسا من غسيل الكلى .. أو زراعة قلب .. هل ماتت القلوب الرحيمة فى هذا الزمن ؟

وهل يكون شهر رمضان هو شهر الضمير الإنسانى الحى .

مبروك .. « جالك كمبيوتر »

مرض كمبيوتر « كل الناس » .. أصابه الفيروس اللعين .. خرف المسكين .. بلع مقالات الأستاذ فاروق جويدة وصفحات المطبخ ولا من شاف ولا من درى ..

جاء الأستاذ محمد شبل صاحب صفحات ميوزيكا يصرخ : الكمبيوتر اتجنن . تعب شهور ضاع فى ثوان .. مايكل جاكسون نطق بالعربى .. أما الأستاذ عبده جبير فكان أسعد الناس ، شفى غليله من الكمبيوتر وفرح فينا جميعا ، فطالما طلبنا منه عدم تصوير المقالات على آلة التصوير العتيقة لأن الكمبيوتر العزيز يحتفظ فى ذاكرته الحديدية بآلاف المقالات ، إلا أن الأستاذ عبده كان يصر على أنه لا يضمن هذه الآلة الصماء .

جلس محررو « كل الناس » حول الكمبيوتر يربتون عليه فى حنان .. اتكلم ، قول حاجة .. أى حاجة .. قول آه ياحبيبى .. ولا حياة لمن تنادى .. الأستاذ مريض ، أصابنا الاكتئاب بعد أن تعودنا على حياة «التنبلة» اللذيذة ، وكان الأستاذ كمبيوتر قد سهل حياتنا التحريرية ، وخفف عنا الأعباء وعدنا إلى العزيزين : الورقة والقلم بلا فخر !

وجاء طبيب القلب الباشمهندس وحمل معه المريض لإجراء عملية جراحية وإصلاح ما أفسدته أيادينا ، فقد عاملنا الكمبيوتر بوحشية وقسوة فاقت قدرة احتماله « الميجاواتية » .

الغريب أننا اصبنا جميعا بحالة توتر وعصبية شديدة ، وصال المحررون وجالوا فى طرقات المجلة يشتكون لطوب الأرض خيانة الكمبيوتر وكيف تجرأ على الإصابة بالفيروس !

واكتشفنا أن « كمبيوترنا » على علاقة بكمبيوترات أخرى مريضة أيضا ! مثل كمبيوتر شركة تى آى تى للتليفونات الأمريكية الذى قام بتعطيل ١٤٨ مليون مكالمة وتسبب فى خسارة مادية : ٦٠ مليون دولار خسائر فى المعدات و٧٥ مليون دولار مفروض أنها كانت « رزق وجاى » لأصحاب الشركة التعساء . وتم تشخيص الفيروس بأنه « فشل فى المنطق » الكمبيوترى بسبب محاولات تحسين وتطوير تجعل من وقت انتظار طالب المكالمة ٤ ثوان فقط بدلا من عشرين ثانية ، وهذا الكمبيوتر الشقى لا يعرف شيئا عن وقت الانتظار التليفونى عندنا !

أما الكمبيوتر الفرنسى الأنيق فقام بتوجيه تهمة القتل العمد والاتجار فى المخدرات لأصحاب ٤١ ألف مخالفة مرور ، ويبدو أن حرارته مرتفعة للغاية لأنه كان سيودى بواحد وأربعين ألف مواطن شريف إلى حبل المشنقة !

أما الكمبيوتر الأمريكى المجرم فى البارجة الأمريكية « ڤينسن » فأعطى إشارات وأوامر خاطئة لتدمير طائرة إيرانية كانت تطير فى حالها ولاتعلم أن الكمبيوتر سيمرض فى تلك اللحظات المنحوسة .

أما أظرف الكمبيوترات فهو إنسان آلى أمريكى نزل على عمال المصنع ضربا وركلا وأعطاهم علقة ساخنة بدون مناسبة .

الحمد لله ، كمبيوتر « كل الناس » مؤدب وقد أحسنا تربيته بصراحة وأمرناه بأن ينكر أية علاقة مع تلك الكمبيوترات المشبوهة ، ويبطل الاتصال بها أو حتى يطلبها فى التليفون .. الكمبيوتر « بتاعنا » يغضب أحيانا ولكنه .. يعرف العيب !



عودة الباشا .. النور !

انقطع التيار الكهربى .. ووقف الحال .

وكنت مع زوجى المسكين فى زيارة للدكتور نبيل سالم أخصائى العظام والعلاج الطبيعى بعد أن تعثرت قدم الأستاذ وصار يصرخ كمارى منيب فى فيلم اعترافات زوج « السمانة انشرخت .. العظمة انقطمت » .. وتطوعت بأن أكون « عكازا » لزوجى المسكين فى شوارع القاهرة المظلمة فى محاولة لإثبات الولاء الزوجى ، وكان علينا مواجهة مشكلة صعود السلالم « تسعة أدوار » كاملة وأنا « عكاز تعبان » فى هذه الحالة ، فجلسنا أمام باب العمارة أربع ساعات كاملة فى انتظار عودة التيار « باشا » .. وعاد فجأة !

وكانت مفاجأة .. !

بعد ساعات طويلة من الظلام الدامس أدركت أن استهلاكنا للكهرباء شىء غير إنسانى وغير واقعى ، فكل عمارة وكل شقة وكل محل قد أقام فرحا من الأنوار المتلألئة ، وربما لم تلفت نظرى هذه الظاهرة من قبل ، لكن بعد ساعات فى الظلام الداكن كانت مفزعة .

أى شبكة كهرباء تتحمل هذا الاستهلاك المجنون ؟!

وتذكرت حين كنت أعيش فى الولايات المتحدة أثناء دراستى الجامعية فى شقة صغيرة مع زميلة أمريكية ، كانت درجة الحرارة خمسة تحت الصفر نكاد « نموت » من البرد ، وبلغ استهلاك الناس لغاز التدفئة ذروته ، ومن ثم طلب الرئيس الأمريكى حينذاك « كارتر » من الشعب الأمريكى التوفير فى استهلاك الغاز والكهرباء ووضع المؤشر دائما عند درجة « ٦٠ » . ولأن اليزابيث الأمريكية كانت ملتزمة وطنيا وتحترم قيمة الجماعة والأمانة والصدق فكانت تضبط المؤشر دائما على درجة « ٦٠ » . ولأنى عربية تجرى فى عروقى دماء استهلاكية لا أعترف بكلام الجرائد ووصايا الحكومة فكنت أقوم برفع مؤشر التدفئة إلى ٨٠ وأحيانا ٨٥ بأسلوب « وأنا مالى » مادمت أشعر بالدفء والراحة ، وكانت اليزابيث تتشاجر معى لأنى لا أحترم احتياجات الجماعة لكنها كانت تعطينى العذر بأنى قادمة من الصحراء إلى بلاد الجليد .

ومن ناحية أخرى لم تكن تعطينى العذر فى أسلوبى الاستهلاكى فى الحياة ، وكنت أتعجب عندما أجدها تشترى موزة وتفاحة وبرتقالة واحدة فقط ، وكانت تتعجب عندما أشترى عشرة كيلو وخمسة كيلو، كنت أعتقد أن الحضارة الغربية حضارة بخل وأنانية وفردية ، وأن حضارتى العربية حضارة كرم وعطاء ومشاركة ..

لكنى أعود وأتذكر انصياعها لاحترام قيمة الجماعة فى استهلاك الغاز وأتلفت حولى فأجد آلاف الأضواء الساطعة .

ولا أدرى هل حضارتنا هى حقيقة حضارة الـ « نحن » أم حضارة « الأنا » ؟!



اذبح مانحته خط : تلميذ !

منذ أسبوعين وأنا أحاول - عزيزى القارىء - العثور على مذكر كلمة « دنيا » ومؤنث كلمة « امتحان » ومذكر كلمة « كلاكيعو » !!

أسئلة من هذا النوع وجهت إلى براعم صغيرة لم تتعد العاشرة لا تعرف عن الحياة ولا الدنيا إلا اللعب والمذاكرة والبسمة والأمل والبراءة ، لا تعرف شيئا عن العقد النفسية والأحقاد الاجتماعية ومركبات النقص وجنون العظمة والبلاوى التعليمية . ولا تعرف عن الحياة إلا أنها ضحك ولعب وحب ، لا تعرف أن البيروقراطية ستحمى الأستاذ المبجل من نيران التحقيق بعد أن سبق السيف العزل ورسب الأولاد فى الامتحان وضاعت السنة .. وهذا الأستاذ ليس وحده ، فهناك غيره كثيرون ، هل سمعتم عن السؤال الذى وجه لأطفال السنة الثانية الابتدائية عن عدد الرمل ؟! نعم .. كان السؤال ماهو عدد الرمل ؟ والمفروض أن الطفل المسكين العبقرى الفلكى يجيب بعد أن

يوشوش الودع : الرمل لا يعد ولا يحصى !!

وأسئلة أخرى عن جمع كلمة « شلو » ومفرد « أرجاء » وجمع «سراج»!! وعلى الطفل المسكين أن يجمع أشلاء عقله أمام هذا السؤال .

أتساءل : ما الذى يحدو بهؤلاء العمالقة أصحاب العقول الفذة لوضع هذه الأسئلة التعقيدية ؟ ماهو الدافع ؟ ماهى الحكمة ؟ وكيف يترك لهم الحبل على الغارب للتحكم فى مصير أجيال ومستقبل الملايين ؟ لماذا تضيع سنة وسنوات من عمر الطالب لأن الأستاذ الجليل أراد أن يستعرض عضلاته وخبراته العلمية والتعليمية ويثبت أنه يعمل فى وزارة التربية والتعقيد .. وإذا كان اسم الوزارة وزارة التربية ، فهل هدفها تربية الأطفال على الرعب والخوف من الامتحان، التربية على الإحساس بالضآلة والجهل والتخلف ، بماذا يشعر الطالب المسكين أمام هذه الأسئلة التعقيدية ؟

وإذا كان ولابد من هذه الأسئلة ، فلماذا لا تلجأ إلى نظام الاختيار المتعدد وهو طرح السؤال مع عدة إجابات ، على الطالب أن يختار الإجابة الصحيحة منها ، وقد أثبتت الدراسات العالمية أن هذه الوسيلة ناجحة فى لصق المعلومة فى ذهن الطالب للأبد ؟..

فهل ننضم إلى ركب التقدم التعليمى فى أنحاد المعمورة ؟

اختر الإجابة الصحيحة :



١ ـ نعم .

٢ ـ لا .

٣ ـ عليه العوض ومنه العوض !!



سماسم .. حبيبتى

الست « سماسم » « مقص دار » « ما حصلتش لسه » . ذاع صيتها فى الأوساط الأنيقة العريقة وبين الحسناوات الفاتنات والنجمات الجميلات . ومقص « سماسم » يجعل من شجرة الجميز غصن بان وعود ريحان فى أى فستان . ولدى « سماسم » فرقة من الرجال لا أدرى كيف عثرت عليهم ، يبرعون فى شغل الأبرة والتطريز بخرج النجف والترتر ، ويخرج الفستان من بين أصابع الرجل « من دول » تحفة فنية .

وسماسم ترفض تعيين النساء فى مشغلها الأنيق لأن نظرتها التى لا تخيب تؤكد أن الرجل « أشطر » من المرأة فى فن الحياكة والتفصيل . هذا إلى جانب التزامه العملى ، فهو لا يلد ولا يرضع ولا يقطف الملوخية ويغسل « المواعين » ومن ثم لا يحمل هموم الواجبات المنزلية . وسماسم لا تدرك أنها بذلك تتبع نظرية رأسمالية عملية فى قوانين العمالة .. ماعلينا.

ذاعت شهرة سماسم فى الأوساط العليوى ، ووصلتنى الأنباء . وأرقتنى تطلعاتى « الفساتينية » الجبارة ، فما كان منى إلا أن هددت وتوعدت كثيرا بترك البيت « يضرب يقلب » إذا لم أفصل فساتينى عند سماسم .

وكالعادة استسلم زوجى وحصلت على المراد وتعرفت على « سماسم » وأصبحت « زبونة شيك » . وسماسم تتمتع بخفة دم وسرعة بديهة ولسان « ينقط عسل » . فكان لابد من استعراض عضلاتى الاجتماعية بين الزبائن ومكافأتها مكافأة تحكى وتتحاكى بها .. ووجدتها .

حضرت إلى القاهرة ثلاث صديقات عربيات ، حكيت لهن عن سماسم التى يتوارى خلفها كريستيان ديور ويبكى أمام مقصها إيف سان لوران

بدلا من الدموع .. دما !

انحيت بسماسم جانبا وهمست فى سرية : ياسماسم زبائن هدية .. أرجوك لا داعى للتوصية .

وقد كان .. رفضت سماسم أن تتقاضى مليما واحدا قبل إثبات حسن النوايا .. وأنفقت ببذخ على التطريز ، وأبدعت فى التنفيذ ، وجاء موعد الاستلام ، فتهللت الوجوه ولمعت العيون وتوقعت سماسم مكافأة مجزية وربما بالدولارات الأمريكانى « حته واحدة » .

وسألت صديقتى : وكم الأتعاب يا أخت سماسم ؟

تنحنحت سماسم وقالت : خللى ياحبيتى .. والله خللى .. ده أنتم من رائحة الحبايب (تقصدنى) وتقصد أن تضعنى داخل إطار من الأهمية القصوى والأبهة .. خللى ياروحى .. خللى ياقلبى .

نهضت صديقتى مبتهجة وصاحت قائلة :

ـ حبيتك .. حبيتك .. والله ياكريمة يا عظيمة .. وتبعتها الأخريات.

ـ حبيناكى .. حبيناكى .. تراك والله ما قصرت .

وانهالت وعود وعهود المحبة والأخوة .. وأنا وسماسم فى حالة ذهول .. لقد كانت مجرد مجاملة .. مجرد جملة .

فنحن فى بلادنا فى الغالب نقول مالا نقصد .. ونقصد مالا نقول ، ويفهم الناس بعضهم .. وهذا هو « سلو بلدنا » وعندما نحب إنسانا نقول « باحبك موت .. وباموت فيك » .. والمسألة لا علاقة لها بالموت ولا الوفاة لا سمح الله .

نظرت إلىّ سماسم وقالت : وأنا أيضا حبيتك وهذه هى فاتورة الحساب ياعزيزتى ..

ملاحظة : (تم طردى من البيت بعد الحادث بـ ٢٤ ساعة) .



الحاجة .. و « فان باسطة » !

أنا والوالدة المصونة والجوهرة المكنونة الحاجة ، لا نعرف الكرة من كوز الذرة . لكن فى هذه المناسبة المفترجة كان لابد من مشاهدة مباراة مصر ـ هولندا ، تضامنا مع بقية البشر والخلق ، وإيمانا بروح الانتماء الوطنى ، حيث إن « حب الوطن فرض علىّ » كما قال سيد درويش .

جلست مع الوالدة بعد أن هجرنا زوجى وأشقائى والأهل والأصدقاء لمشاهدة الماتش مع أناس يفهمون فى فنون التشجيع الكروى ، وبدأت المباراة بنزول الفريقين إلى أرض الملعب ، واقتربت كاميرا التليفزيون من وجوه أولادنا وهم يقفون فى قلق ورعب ووجل ، فأصابنى الذعر كفأر يتيم فى مواجهة عائلة من القطط السمان ، ودمعت عيناى شفقة وعطفا على الأولاد فى ذلك الموقف الرهيب ، قلت للحاجة : إنهم يغنون « بلادى بلادى » ، ينشدون السلام الجمهورى ، فأكدت لى بمنطلق العالمة ببواطن الأمور أنهم يتمتمون بآيات القرآن الكريم ، وبدأ اللعب وقلوبنا تدق كطبول الحرب .. وإذا بالحاجة تخبرنى بأن الولد مقصوف الرقبة ذا الشعر الطويل كما البنات (خولييت) غير مأمون العواقب ، أما المضروب باسطة (فان باستن) فينوى لنا نوايا سوداء ، ومن ثم انهالت بسيل من القذائف الموجهة والدعوات حتى تغشى أبصارهم ولايروا الكرة ويتعثروا ويتبعثروا شتاتا فى أرض الملعب لا يفقهون شيئا ، وفاجأتنى بأنها قرأت « عدية يس » بالأمس استعدادا لتلك اللحظات التاريخية .

ومع كل « فاول » كانت الحاجة تعترض بأن الخواجة فعلها قاصدا

متعمدا وحاولت أن أشرح لها إنهم يربتون على كتف بعضهم اعتذارا ، فمضت تشرح لى أن تلك حركات استفزازية ، بل إن الذين « ينشكون » فى قلوبهم يضربون أولادنا .. وبمرور الدقائق لعب الأولاد بفن وهندسة بل كانوا يهاجمون بشراسة . ونحن فى قمة الانسجام إذا بالمعلق يستطرد فى سرد حقائق تاريخية عن المدن الإيطالية وأرقام فلكية عن السياحة الترفيهية ، ونحن لا نفهم ماذا يحدث فى الملعب فتبادلت الحاجة حوارا غاضبا من طرف واحد مع المعلق لا داعى لنشر تفاصيله !

وفجأة ضرب طويل الشعر كما البنات حسام حسن « روسية رأسية » انتقامية ، فسقط حسام يتلوى ويمسك برأسه وأصابتنى حالة هلع وصرخت « ارتجاج فى المخ ياحاجة » ، فسارعت على الفور ببعض الأدعية من طراز أرض ـ جو موجهة إلى ايطاليا ، ونهض حسام ولكن المعلق لم يعلق ، فاعترضت الحاجة بشدة قائلة : ذلك المعلق لم يذكر شيئا يطمئن قلب أمه المسكينة وأهله فى مصر ، فقلت لها بفخر : اليوم ياحاجة مصر كلها أهله وأسرته .

ودخل الجول الأول شبكة الفريق المصرى . وكان لابد من تغيير استراتيجية الدعاء . وسخنت المباراة ودرجة حرارة الأدعية ، وإذا بأحد الملاعين (وهو توصيف الحاجة للفريق الهولندى) إذا به يمسك بحسام ويطرحه أرضا ، فنهضت الحاجة محتجة أيما احتجاج : لقد أمسك الولد المسكين من الفانلة ، هذا ليس عدلا يا ناس ، كعبله يا حبة عينى !

وإذا بالمعلق يصرخ ضربة جزاء .. ضربة جزاء .. فأجابته الحاجة : ربنا يجازيه على قد عمله يارب ياكريم ياجبار ، ومع هذا الدعاء دخلت الكرة شبكة الملاعين ودخلنا التاريخ ، وأعتقد أن ذلك ببركة دعاء الوالدات المصريات .



ماذا حدث بالضبط ؟!

وعادت الحياة إلى نقطة الاكتئاب اللانهائى وانفض مولد كأس العالم .

عدنا إلى الحياة داخل دوائر الفراغ ومربعات الملل ومثلثات اللامبالاة ، يتساوى فى ذلك المخلوقات الكروية وغير الكروية من أمثالى .

شعرت بالحزن على رحيل لحظات الإثارة والانتشاء ، وغياب طعم الانتظار والتوتر الجميل ، ونشوة وغرور فكرة الفوز ، وعظمة الشعور بالتعادل والتكافؤ مع العالم من حولنا .

عرفت أيام كأس العالم مذاق الطموح وكان قد هاجر من حياتنا ولم يترك عنوانا ، واستعمرنا التطلع المحنون والتسلق اللزج .

عرفت أيام كأس العالم طعم الأمل الذى ترك لنا مرسوما ينص على أن هذا الشعب توقف عن الحلم مع سبق الإصرار والترصد .

انتابتنى موجات من الجرأة بعد أن كان الخوف والهزيمة قد حصلا على تأشيرة إقامة دائمة مدى الحياة فى نفس كل واحد منا . مشاعر كان قد « عشش » فوقها عنكبوت اليأس والتبلد ..

والمسألة ليست مسألة كرة ، إنها لحظة الإنجاز العظيم .. لحظتها أتممنا الأفراح فى القلوب ، فجأة تحول إيقاع الحياة من الموات والدق

على وتيرة الخمول إلى نبض لاهث يدق على دفوف الأمل .

وكانت ساعات قليلة ..

ماذا حدث بالضبط ؟

لقد خرجنا من إطار الاستسلام ، وكسرنا ذلك الحجاب الحاجز للزمن الذى تحجرنا داخله وتحولنا إلى فئران تجارب فى معامل العالم التى تدرس نظرية التخلف .

ساعات قليلة ثرنا فيها على الحياة داخل انتكخانة الزمن .

ثم عادت موجات الأثير تبث لنا أغنيات حمال الأسية ، ظالمينك ياقلبى، وعمر جرحى أنا أكبر من الأيام ، ويارب إيه العمل فى حكمتك ، بائس وماليش أمل غير رحمتك ، تظلمنى برضه باحبك ، واسأل دموع عينيه اسأل مخدتى ، كام دمعة رايحة جاية تحكى لك وحدتى !!

المسألة ليست مسألة كرة إذن .

ذلك هو المزاج العام الذى يحتوينا كل يوم .. الدنيا كلها تغنى كل يوم لحنا جديدا ، إذاعات العالم تقدم عشرات الأعمال الجديدة كل أسبوع فى سباق مع عجلة الزمن ، لا يفتحون دفاترهم القديمة ، يلهثون وراء الجديد .

أما نحن فمازلنا نعيش إيقاع الخمسينيات ، وأفكار الستينيات وإحباط السبعينيات ، ولم نصل بعد إلى الثمانينيات ونحن نعيش التسعينيات .



المسألة لسيت مسألة كرة .. إنها قضية إيقاع الحياة !

سلم لى على .. حافظ إبراهيم

بعد موجة « لولاكى » وهوجة « الأساتوك » تعيش الآن مرحلة «سلم لنا بقى ع الترماى» . وهذا القول العبثى أصبح قولا مأثورا يتردد على ألسنة الملايين . وقد تعجبت كيف يسلم الإنسان ع الترماى أو يقول له : « كفك » ، فقالوا لى : إن مسألة مصافحة الترماى مستحيلة ، كما أن الترماى راحت عليه وفى طريقه إلى الاندثار ، ومن ثم فالمقصود بهذا القول الحكيم أن يذكر حين يريد الإنسان أن يعبر عن استحالة حدوث واقعة معينة . وكنا فى الماضى نقول : « فى المشمش » . وحيث إن موسم المشمش قصير جداً ، فاحتمالات وقوع الحدث ضئيلة للغاية ، وإن كان موسم المشمش واقع حياتى ، ومن ثم فإن العبارة التهكمية تحمل فى طياتها احتمالات أن يتحقق المطلوب وإن كانت الاحتمالات واهية . أما مسألة أن تضرب الترماى كفاً بكف فمن سابع المستحيلات. والمجتمع الذى أفرز « فى المشمش » كان مجتمعاً راقياً و« رايقاً » . أما مجتمع الترماى فهو مجتمع « البودرة البيضاء » و« الساطور » و« الهبيش » و«توظيف الأموال» . مجتمع الترماى فقدت فيه الألوان دلالاتها ، وأصبح المقصود باللون الأخضر أن باب المسموح به مفتوح على مصراعيه ويمكنك قول أو فعل مالا يخطر على البال والخاطر ، باختصار « الطريق سالك » حتى إلى الخطيئة . أما اللون الأبيض لون النقاء والفل والياسمين وحمامة السلام فأصبح يعنى , أنك جاهل . وغبى ولا تؤاخذنى « حمار »! أما إذا أردت الاعتراض وإبداء الاستياء فتقول : « بلاش اللون ده معانا » ، وعليك اختيار اللون

كيفما تشاء . أيام المشمش كان الناس يتغنون « الأنس كان أنت والانسجام » ، كان القاموس الغنائى يتحدث عن معان اندثرت مثل الصفاء والوداد ، وكان القاموس الحياتى يضم تعبيرات نهارك سعيد ، وسعيدة مبارك ، وخطوة عزيزة ، وهى أقوال تتحدث عن السعادة والمعزة ، ثم تفرنجنا فترة وعشنا عصر « البونجور » ثم وصلنا إلى مرحلة « بندحرج التماسى ياعسل ، وصباح الخير .. بالليل » ! وأخيرا وبنجاح كبير « سلم لى ع الترماى » !

أما إذا نظرنا إلى مضمون الأغنية فنجد كوميديا سوداء ممزوجة بواقعية مريرة . فالكلمات تؤكد للمجنون أنه سيترك مستشفى المجانين كى يعيش مع مجانين آخرين . إنها دنيا تجن العاقل ، والمجانين فيها أصناف من كل الطبقات سواء الطبقة المجنونة بحد الفقر أو بسفه المال وبريق السلطة . هذه السخرية المعجونة بالألم وبرائحة الظلم وبطعم المعاناة هى التى جعلت الناس تتعلق بهذه الأغنية . وعلى الرغم من عبثية وانحدار القاموس اللغوى إلا أن هذا هو المعادل الموضوعى لتركيبة اجتماعية متفسخة . وأعتقد أن هذه هى المعادلة الصعبة وراء نجاح لغة الشوارع فى حياتنا الغنائية . فكيف يغنى مجتمع فقراء الحرب وأغنياء الانفتاح ، والانفجار السكانى ، مجتمع الأزمات .. أزمة زحام وأزمة شقق ، وأزمة خبز ، وأزمة سكر ، وأزمة ثقافة ، وأزمة اقتصاد وأزمة إدمان ؟ ..

كيف يغنى هذا المجتمع بلغة حافظ إبراهيم عن مصر :

« أنا تاج العلاء فى مفرق الشرق

ودراته فرائد عقدى » ؟

وسلم لى على الترماى ..



موسم الخطف العظيم !

هذا هو موعدنا السنوى لمراجعة المقرر المسرحى ، والتكرار يعلم الشطار .

فى العام الماضى كان الصعايدة قد وصلوا و « الصعايدة زعلوا » و« الصعايدة جم » . وهذا الصيف « الصعايدة رحلوا » ..

والموجة الرائجة هذا الموسم هى الخطف ، فقد خُطفت روحية ، ولا نعلم حتى مشاهدة المسرحية شيئا عن جنسية المختطفين .. وهناك جماعة أخرى من الألوية المسرحية تقول « إحنا اللى خطفناها » . ويبدو أن التهافت والتفاخر بعمليات الخطف والاستيلاء أصبح يجرى فى الدماء العربية هذه الأيام . وأن هذا موسم الخطف العظيم !

المقرر المسرحى هذا العام يضم ، أيضا ، « بوم شيكا بوم » و«حمرى جمرى» و« حلأ حوش » (لا أدرى هل هذه « الحلأ » من فعل حلق .. يحلق .. تحليقا ؟) .

لكن الملحوظ أنها تعبيرات مناسبة للموقف السياسى العربى ، تعكس الأوضاع السائدة والاستراتيجيات المتبعة .. فنحن هذه الأيام نسمع طبول الحرب تدق « بوم شيكا بوم » ، واستراتيجية الغزو ، والاجتياح والاحتلال تتم كلها « حمرى جمرى » والجماهير العربية تهتف « حلأ حوش » وبعد هذا كله لابد أن نسأل إذن « البحر بيضحك ليه » ؟

ولا أدرى أى بحر هو المقصود فى هذا المجال ؟ : هل هو البحر الأبيض المتوسط يضحك سخرية ، أم هى حالة هيستريا أصابت البحر

الميت ، أم أنها حالة هذيان البحر الأحمر ؟ إنها المفارقة المسرحية الساخرة ؛ لأن كل هذه البحار تطل على دول عربية ، كان لابد للبحر أن يلطم الخدود بدلا من أن يضحك .

وهناك أيضا مسرحية « ولاد ريا وسكينة » ، وأعتقد أن ذرية المرحومتين ، ممن تجرى فى دمائهم الرغبة المجنونة المتعطشة إلى الدماء والثروة ، منتشرة فى أنحاء العالم العربى نتيجة لعمليات نزح وتهجير وعقود عمل وزواج مختلط ، ومن ثم فالمسرحية ذات جذور عميقة فى الواقع العربى .

أما مسرحية « سلامة سلم نفسك » فهى دعوة ساذجة وإسقاط مباشر ؛ لأن سلامة لن يسلم نفسه أبدا ياجماعة ، حتى لو كان ذلك هو قرار « قموى » (اشتقاق جديد واختصار لجملة تتكرر كثيرا فى نشرات الأخبار » !

عموما فإن الحل المسرحى ، الذى تطرحه السوق العربية هذا الموسم، هو حل مثالى يستحق الدراسة ، و التمحيص ، وذلك فى مسرحية «العالمة باشا » حيث تصل دعوة عن طريق الخطأ إلى عالمة من «شارع محمد على» بدلا من عالم عبقرى ، مما يؤدى إلى تمسك العالمة باشا بمقاليد الأمور ، وصولجان الحكم .. وتتحكم ، وتحكّم رأيها !

اقتراح أخير غير « قموى » هو أن نضيف إلى مقرر هذا العام مسرحية أمريكية موسيقية معروفة فى الستينيات ، كتبها مؤلف أمريكى معتوه أيام حرب فيتنام ، مسرحية اسمها : « أوقف الكرة الأرضية عن الدوران لحظة من فضلك فى هذه المحطة .. لأنى أريد أن أنزل » !



كمنى .. فهمنى !!

تقف تحت « الدش » وتستنشق « الفحم » !

هذه عادة جديدة نتدرب عليها نحن العرب الآن ، ولا علاقة لهذا السلوك بالوحم وإنجاب الأطفال . كما أنه ليس نوعا من الإدمان ، فالفحم يجرى فى دماء العرب منذ زمن بعيد ، ويستهلكونه بشراسة ونهم شديدين فى شئون الطعام والكيف !

غير أن الدور الجديد الذى سيلعبه الفحم فى حياتنا هو دور خطير للغاية ، وخاصة أننا نعيش أياما سوداء .. فحم ! وأصبحت الحياة لونها فحمى .. فحمى .. فحمى .

وهذه نصيحة لوجه الله لكل من يبحث عن الثراء السريع فى هذا الزمن الشنيع . ولو كان لدى رأس المال لعقدت صفقة أو « شروة » فحم ضخمة ، أحصل فيها على كل الفحم الموجود فى الأسواق ؛ لأن ثمنه سيتضاعف خلال الأيام القادمة ، وربما يصبح أغلى من الذهب فى أسواق البورصة العالمية .. فالفحم يستخدم فى مواجهة الموت الأسود أو القنابل الكيميائية . ومادمنا نتحدث عن وسائل الثراء فى زمن الحرب ، فها هى وسيلة أخرى يمكننى أن أصبح بها «غنية حرب» على سن ورمح ومدفع رشاش !

المسألة لا تتطلب سوى الذهاب للشهر العقارى وتسجيل حقوق اختراع الكمامة . وأنا لا أتحدث عن الكمامة الكلابى ياجماعة ، أو الكمامة الزوجية التى تستخدمها الزوجات مع الأزواج فى وقت الخناقات ، لكنى أتحدث عن الكمامة التى تستخدم فى وقت الحروب

الكيماوية ، وبحسبة بسيطة فإننى لو قمت ببيع الكمامة بعشرة قروش ، وهى لا تتكلف أكثر من قرش واحد ، وقمت ببيع ١٠٠ مليون كمامة ، فمعنى ذلك أنى أصبحت مليونيرة فى غمضة عين .

لكن يا خسارة ومليون خسارة ، لن أتمكن من الاستمتاع بثروتى المفاجئة ، لأن الكمامة والفحم هما مجرد قشة نتعلق بها فى بحر الظلمات الكيميائى .

فالقنبلة الكيماوية لن تترك الأخضر واليابس ، فهى قنبلة جراثيم وميكروبات وفيروسات وبلاوى زرقاء ، والقنبلة النووية تهون بجوارها لأن القنبلة الذرية ؛ انفجار ، فاحتراق ، فموت .. و«نخلص»! إيقاع سريع لعملية طلوع الروح .. أما القنبلة الكيماوية فستجعلنا نتجرع العذاب ألوانا بالتصوير البطىء .. أولا ستذوب ملامحنا وأجسادنا كما الشمع المحترق ، ونصاب بتشوهات رهيبة ونصبح أمة من الغيلان والمساخيط القبيحة . ثم نصاب بالأوبئة الصفراء والخضراء والسوداء التى سوف تلتهمنا التهاما .. ونصبح أمة .. عفوا كومة .. من القمامة البشرية المتعفنة.. وبعد أن نهترىء تماما سيضطر العالم المتقدم إلى تنظيف كوكب الأرض من ذلك «الخراج» البشرى (الأمة العربية سابقا) .

لكن كيف تتم عملية التطهير من كتلة الصديد البشرية ؟ هنا يأتى دور القنبلة النووية : انفجار ، فاحتراق .. ثم تأتى طائرات أسلحة الطيران الغربية و « ترش » المنطقة بمطهر «الديتول» ويبدأون « على نظيف » حقبة جديدة من تهجير وتوطين اليهود فى الشرق الأوسط .. على الرحب والسعة .



الحياة بأثر رجعى !

أقسم أننى من الطبقة الكادحة الشقيانة ، وأن القرش لا يأتى إلا بطلوع الروح ، لكن هناك حكاية تؤرقنى ، ومكسوفة « حبتين » أفتح الموضوع معكم . لهذا ، وقبل أن تسنوا سيوفكم وألسنتكم وتتهمونى بأننى رجعية يمينية مهترئة ، اعطونى فرصة للتعبير عن رأى لا هو « يمينى » ولا «شمالى» إنما شهرزادى مستقل .

الحكاية باختصار هى أننا ومنذ عرفنا السينما والمسلسلات وسنينها ، نعيد ونزيد فى حكاية الأرض : الأرض هى العرض يا بنى، ومن يفرط فى أرضه يفرط فى عرضه . الأرض هى الضمان والأمان والرمز والتاريخ والماضى العريق ، أرض أبوى وجدى وجد جدى .

الأرض هى الجغرافيا والانتماء والكينونة . الأرض هى بهية ونعيمة وناعسة . لا تبع الأرض يا بنى حتى لو دفعوا لك ١٠٠ مليون جنيه فى المتر لا تبع الدكان الكحيان يابنى.. لا تبع .. ثم لماذا تبيع ؟ من أجل المال ؟ الفلوس شر وفساد وانحلال وراقصات ، والفقر فضيلة وشرف ومبدأ وقيمة . إمسك فى الفقر بيديك وأسنانك وإذا أتت إليك الفلوس من الباب اقذف بها من الشباك .. وتطهر من فكرة الثراء !

هنا مربط الفرس !

ربط كل شىء بالماضى ، باعتباره الثابت الوحيد ، والدعوة للرضوخ للحياة كما هى : مجرد الحياة بأثر رجعى . الحياة بتاريخ يعود إلى آلاف السنين التى فاتت وولت ، والارتباط بالأرض لمجرد الشعارات الجوفاء والرموز الحنجورية العقجاء .

ازدراء لفكرة التطور والحركة وديناميكية الحياة . ماذا لو باع عوضين القيراطين وباع حسنين الدكان ؟ ربما أقام أحدهما مصنعا صغيرا بثروته

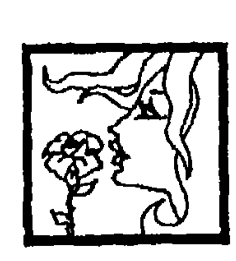
الجديدة ، وربما عمل فى هذا المصنع مئات العمال وفتحت عشرات البيوت. وتحركت عجلة الإنتاج ، وتحول المجتمع النائم « التمبل » إلى مجتمع منتج متطور . ربما قرر عوضين أن يشترى بثمن القيراطين مائة فدان فى الصحراء ، وينفق ثروته الصغيرة فى تعمير وتخضير الصحراء ، والصحراء أرض هى الأخرى ، وأرض بـ « الكوم » لكنها فى حاجة إلى عرق وكد وتعب .

لماذا لا يبيع عوضين أو حسنين ، ويشترى ويبيع ، ويتحرك من حياة « محلك سر » إلى حياة « محلك اعمل واشقى » ؟

لماذا نكره فكرة المغامرة ، ونمقت قيمة العمل ، ونراهن على الماضى، ونشترى التاريخ ، ونلقى بالمستقبل فى صندوق القمامة ؟

وهذه ليست دعوة إمبريالية لبيع التاريخ ، لكنها دعوة عقلانية لشراء المستقبل . الثروة فى المجتمعات المتقدمة ليست عيبا أو رذيلة لو أحسن صاحبها استغلالها . الثروة ليست قطعة أرض « نلبد فيها » جيلا بعد جيل ونتغزل فى عيون نفرتيتى وبهية وفتحية .. والثروة ليست « تحويشة عمر » تدر عائدا مضمونا مأمونا فى زمن الريان وصدام حسين !

الثروة هى الحركة .. وأهل زمان قالوا : الحركة بركة والبركة هى الترجمة الفولكورية لفكرة الاستثمار .. أما إذا كان عوضين وحسنين وفلان وعلان ينوون شراء صنابير مياه من الذهب الخالص ، ومراحيض من حجر الفيروز، وإلقاء أوراق البنكنوت للمارة فى شوارع لندن وباريس ، واستبدال بهية بسنية شخلع وإيفا العجيبة .. فالمسألة ليست مسألة أرض وعرض .. إنها جريمة ارتكاب فعل السفه والبله مع سبق الإصرار والترصد .. ومتى فعلنا ذلك فإننا نستحق عن جدارة أن يأتى الكبار « إياهم » ويجمدوا ويثلجوا أموالنا فى الفريزر .. ويأمروا بالحجر عن عقولنا .. قبل جيوبنا !



علمونا الكراهية..
سبقناهم على الأبواب!

عقد مؤخراً فى «أوسلو» ـ عاصمة البرد والبرود والأعصاب المثلجة ـ مؤتمر الكراهية العالمى.. أى والله! وقد حضر المؤتمر نخبة من الطيبين العاقلين «الناس الكُمّل» الذين تضعهم على الجرح يطيب. وكان على رأسهم «فرانسوا ميتران» و«چيمى كارتر» و«نلسون مانديلا» و«ڤاتسلاف هاڤل»، وعدد معتبر من «النوبليين» أصحاب جائزة نوبل.

كانت أروقة المؤتمر تفوح بأريج الفضيلة وعطر الخير. وقد ناقش الطيبون والطيبات معنى الكراهية، وتوصلوا إلى أنها الشمس السوداء، الحوت الأبيض، إدمان المشاعر الكحلى، تعاطى جرعات العنف المركز والحقن بمصل الأنانية المكثف.

وهذا كلام جميل وكلام معقول «لا أقدر أقول حاجة عنه» سوى أنه تفسير شاعرى أدبى لمعنى الكراهية الغامض. أما من هم نجوم الكراهية فى العالم؟ فقد جاء الفاسق «هتلر» على رأس القائمة هو وسيئة السمعة حكومة جنوب أفريقيا. أى أن المؤتمر المحترم وضع يده على جرح الإنسانية، ألا وهو النازية والتفرقة العنصرية. تعجبت!.. لقد سقطنا من حساب المؤتمر، حيث لم يدرج العرب فى قائمة عباقرة الخير، ولا حتى أساتذة الكراهية. هكذا دائما يتجاهلوننا.. «والله زعلت»، فهذا ينطوى على عدم احترام للوجود والكيان العربى. على كل حال فاتهم نصف عمرهم وهم الخاسرون، فنحن الذين أدمنّا

الكراهية، ونستطيع أن نقدم دروساً خاصة فى منهج الغل التاريخى ومقرر الأحقاد الدولية. كما أن لدينا خبرة فى علوم الأنانية والذاتية والغرور والطائفية والتطرف، وهى كلها مواليد شرعية للكراهية.

وحتى نحرق قلب الجماعة فى النرويج، ونريهم أننا «بتوع مؤتمرات جدعان»، أطالب بعقد مؤتمر قمة عالمى عن البلطجة و«الغيلنة» الدولية (من غيلان)، و«الغلينة» العالمية (من غل)، ولن يستطيع مخلوق فى العالم أن ينافسنا فى هذه الميادين.

وبعد تفكير طويل، قررت أن ذلك المؤتمر لن يكون فريداً من نوعه، واجتاحت عقلى موجة عبقرية تفتقت عن فكرة جوهرية: نعقد مؤتمراً دولياً عن هتك العقل وهتك العرض.

و«هتك العقل» عادة يومية نمارسها فى الصحف والمجلات ووسائل الإعلام والأفلام، والخطب العنترية، وفى الشعارات والاجتماعات.

أما هتك العرض، فإليكم أحدث ما جاءنا فى النشرات الإخبارية:

ـ الجنود العراقيون يغتصبون امرأة عربية أمام سمع وبصر زوجها وأطفالها الأربعة، ثم يقتلون الزوج ويمزقون جسد الأم بالسناكى، ويتناوبون على هتك عرض البنات (عفواً) الصغيرات.

ـ مدرسة تقتل نفسها فى نوبة جنون، بعد أن اعتدى عليها خمسة من الجنود العراقيين، ثم ألقوا بها مضرجة فى دمائها.

ـ اختطف الجنود العراقيون أتوبيساً يقل مجموعة من الممرضات والطبيبات، وتمت عملية اغتصاب جماعية وحشية.

ـ تكرر اختفاء الفتيات والفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة والرابعة عشرة!!!

....

هذا، ومازال هتك «العرض» مستمراً حتى الآن.



عصور البهدلة

صداقة الغربة غير أى صداقة .

الصداقة الحقيقية اختيار وولاء وعطاء ، أما صداقة الغربة فهى علاقة ترتدى قناع النفاق وتلتف بوشاح المنفعة ، وتتجمل بريشة الأمر الواقع . صداقة الغربة تنمو فى حدود الموجود والمطروح والمفروض. صداقة الغربة تلوى عنقك وتجعلك تعرف ناسا ووجوها وأشكالا وألوانا ، ربما لو التقيت بهم على أرض الوطن لن تكلف نفسك عناء إلقاء السلام عليهم! باختصار أصدقاء الغربة هم أصدقاء اللحظة ، قنبلة موقوتة تنفجر عند الفراق ، وتتناثر فى وجهك أشلاء الزيف والاستغلال والحاجة ، وألف وجه قبيح كان يستتر خلف برقع الصداقة .

وإذا كان الصديق الحقيقى من ذهب ، فإن العثور على صديق «بحق وحقيق» فى الغربة يجعله يستحق وزنه ماسا وياقوتا وزمردا . ولقد عثرت على هذا الصديق أثناء سنوات الغربة ، كنت محظوظة عندما التقيت بمحمد الشناوى وهدى ماضى ، أو كما يسمونهما فى أمريكا عائلة «الشناويز» . وكان الشناويز بالنسبة للطالبة الكحيانة الغلبانة الواصلة إلى أرض اللبن والعسل وهى تحمل «طاجن ستها» المحمل بالإحباط والخوف من المجهول والوحدة والغربة، كانوا هم بابا ، وهم ماما ، وكل شىء فى الدنيا الأمريكية المرعبة . مرت سنوات الغربة ، تمرغت فيها فى حنان ورعاية أسرتى الجديدة وفارقتهم بالدموع والعويل .

افترقنا .. ومرت السنوات وفجأة جاءنى خبر وفاة عمى رفعت والد هدى، فزعت وهرعت إلى التليفون لمواساة صديقة العمر .. طلبت المكالمة

عن طريق السنترال ، وجاءني صوت رجالي على الطرف الآخر يرد «بالآلو» الأمريكية الخنفاء، فسألت بشك :

محمد ؟ فإذا بانفجار لغم تليفوني في أذني أصابني بالخرس :

ـ موهُمَد مين أيتها العربية المسلمة الشمطاء ، في الغالب أنت جاسوسة من السفارة العراقية يا .. أنا أعرف صنفكم الحقير جيدا يا.. صواريخنا ستحطم رءوسكم يا .. ! صرخت في عامل التليفون . « النمرة غلط » اطلب مرة ثانية .

وفي المرة التالية كانت الشتائم أقذع واللهجة زرقاء بلون النيلة وصوت الرجل ينضح بالمرارة، والكراهية والغل والحقد ، وخذ عندك قاموس السباب الأصلي . اكتشفت أن محمداً وهدى غيرا رقم التليفون .. لكنني شعرت بالقهر والخجل ثم الغيظ والثورة .

كده ياصدام ، بعد مابدأنا نفرض احترامنا ووجودنا في العالم ، ونرفع رءوسنا ، ونطفو على سطح الحضارة ، ونلحق بالأمم ، ونطرح عهد التخلف وراء ظهرنا ، نعود إلى عصر البهدلة والكراهية العالمي والاحتقار الدولي .

قد تكون حالة الجدع الأمريكي المذعور من كلمة بالعربي حالة شاذة لكنها مؤشر إلى عودتنا إلى دائرة الاتهام .

لم تؤلمني ألفاظ التخلف والعته ، فنحن مسئولون عن تخلفُنا وأنايتنا وسلبيتنا .

الرجل خلط بين المصيبة العربية الآن وبين العروبة والإسلام .

أنا أعرف وأنت تعرف ، لكن للأسف العالم لا يعرف.

نحن نستحق .. ولكن العروبة والإسلام .. بريئان.. كل البراءة .

« وامصيبتاه .. واخيبتاه .. »!



اللهم لا تشاؤم!

اتصل بى قارىء «حويط غويط»، وقال لى: إن أساليب شهرزاد تشاؤمية، ونظرتها للحياة سوداوية تثير فى النفس القلق والهم والغم.. ومن ثم.. قررت تغيير الاستراتيجية، والتوقف عن موال الندب على مصير الأمة العربية، والاتجاه إلى رفع الروح المعنوية على سبيل التعبئة القومية، قبل الضربة النوفمبرية (وهذه توقعات شخصية، خالية من المسئولية، قائمة على حسابات غير منطقية)!

ومن ثم.. قررنا عمل «أوكازيون معنويات»، وبعد بحث وتنقيب وجدنا الحل فى أيدى الجهابذة من مؤلفى المسلسلات؛ ففى تلك الأيام المظلمة، وذلك الزمن الصعب، الناس مكتئبة، والحالة الاقتصادية عدم، والحالة النفسية ندم، والطريق مسدود مسدود.. كان لابد من العثور على فكرة منيرة مستنيرة للخروج من دوامة اليأس الخطيرة.

تفتقت قريحة المبدعين عن أنه لا يأس مع الحياة، ولا حياة بدون أمل. غير أن الأمل العربى ذو طبيعة خاصة جداً، حيث أن المواطن العربى منا يعرف الأمل، لكنه يمقت العمل.. ومن ثم.. كان يجب رفع المعنويات دون المساس بحكاية القدرات والإمكانيات.. ومن ثم.. ازدهرت فكرة دراما «الأمل من منازلهم».

والمتابع لحكاية «أوكازيون المعنويات» على الشاشة الصغيرة، يجد الحل دائماً فى يد الأب المسكين الذى طحنته «السنين»، والذى يبحث عن الثروة والمجد لأبنائه.. ولما كان العمل والجدية من البدع الغريبة،

فإن طريق المستقبل لابد أن يقف على بابه: «على بابا» و«علاء الدين»!

فى مسلسل «أولاد آدم» يبحث الأب عن كنز المجوهرات، ويشترى الأولاد البيوت والسيارات ويبدأون حياتهم العملية رؤساء مجالس إدارات. وهناك الأب «السجين» الذى يبيع من عمره السنين، يقضيها فى الزنازين، بينما يقتسم أبناؤه الثمن، ويصبحون أصحاب عقارات ودولارات ومديرى شركات!

ومن ثم....

فلنفرح وتهدأ قلوبنا، فولى أمرنا، سيتولى شئوننا، وكل ولى أمر، له ولى أمر مسئول عنه، ولا داعى للقلق والاكتئاب، فقد سمعت خبراً جاء على وكالات الأنباء العالمية، يقول: إن هناك مصنعاً للساعات السويسرية يقوم حالياً على تصميم موديل جديد من «خاتم سليمان»، خصيصاً لسكان المنطقة العربية.. وطبعاً على ولى أمرنا أن يشتريه لنا!

ومن ثم..

أبشروا.. وتفاءلوا يا أصدقاء.. هذا هو «أوكازيون المعنويات».. انتظروا فى مسلسل «أولاد العرب» الذى يعرض حالياً بنجاح كبير، انتظروا أن يأتى «علاء الدين» بمصباح «موديل تسعين»، يعمل بالكمبيوتر و«الريموت كونترول» والاستشعار عن قرب وعن بعد، وسيقهر المعتدين الغاصبين.. وسيأتى «على بابا» بالذهب والياقوت والمرجان، ويسدد الديون لصاحب الصندوق «نقدون».

إن شاء الله تكون روحكم المعنوية ارتفعت.. وطلعت فوق.. فوق.. فوق السحاب.

أبو «نيدال» .. !

هو رجل شرقى ، ومثقف عنيد ، ومناضل شرس ..

كان حلمه الوردى الصلاة فى القدس والتمرغ فى رحاب المسجد الأقصى لكنه انتهى إلى الصلاة بين جدران زنزانة عفنة.. سنوات ضاعت من عمره فى غياهب السجون من أجل المبادىء والحرية والقومية العربية وتحرير فلسطين والعدالة الاجتماعية .

خرج من السجن إلى المطار! هاجر.. وهجر

حمل فى حقيبته أحلامه الموءودة ومرارة أبدية فى الحلق.

ارتمى الشرقى فى أحضان حضارة الفرنجة، طلق الوطن والثقافة والزوجة العربية بالثلاثة، وتزوج « جوانا » .

كانت « جوانا » أقبح امرأة فى بريطانيا ، عندما قابلتها معه فى لندن سألته: لماذا هذه القردة يامسكين؟ هل انقرض صنف النساء يارجل؟ ضحك المثقف العتيد وقال: «أنا لا أبحث عن الشكل بل عن المضمون». ومضمون « جوانا » أنها مثقفة «حنجورية» على الطريقة الإنجليزية، التقى بها فى مطار هيثرو وهى توزع الورود وتدعو الناس إلى السلام والحب والابتسام فى الستينيات.

أى أنها «هيبية» محنكة. تركته مع طفلتها الرضيعة للعمل كممرضة فى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين أثناء الحرب اللبنانية فى

السبعينيات.

وعندما التقيت بها معه فى لندن دعتنى إلى مسرحية استعراضية غنائية (قصة الحى الغربى) فى مسرح الصم والبكم حيث تُدرَّس لغة الإشارة للخرس.

أطلق على ابنته اسم «الخنساء» وعلى ولده «نضال امرؤ القيس» وتخيلوا كيف ينطق الطفلان الأسماء بلكنة «خواجاتى»: «الكنسا» و«نيدال إمروو الكايس».

أذكر أن «نيدال» رفض أن يتناول عشاءه وكان عمره أربع سنوات فزجرته «الكنسا»، وكان عمرها خمس سنوات قائلة: تناول الطعام أيها المهترىء، ألا تعرف أن هناك أطفالا مثلك يموتون جوعا فى الصومال، هناك مجاعة فى أفريقيا ياجاهل!

وفشلت الزيجة الحنجورية، تركته «جوانا» من أجل سيريلانكى من ثوار التاميل! لقد ترهل ثقافيا ونضاليا ولم يعد ينفعها.. لكنها لم تترك حقوق النفقة والاستيلاء على نصف أملاكه!

ومازال يعيش وحيدا مع «قرطة العيال» يحاول جاهدا أن يجعلهم أنصاف أو حتى أرباع عرب، لكنهم لا يعرفون كلمة عربية ولا يملكون من العربية سوى الاسم فقط!

ضاعت الأحلام، وضاعت الهوية، وضاع العمر.

هو قد هاجر يوما ما هربا من القهر بمحض إرادته مع سبق الإصرار.



ماذا عن ١١ مليون لاجىء عربى فى أنحاء المعمورة خرجوا هربا من جحيم الحرب والاحتلال؟.

ترى هل سيحتفظون هم أيضا بالأسماء فقط؟

فى غرفة الإنعاش

خرجت من صدره تنهيدة طويلة وعاد إلى المصعد فى هدوء ، فهو إنسان صبور يسمونه « الأستاذ ثلاجة »!

ضغط على زر المصعد ، انقطع التيار الكهربى . معلق هو فى الدور الثانى عشر . رن جرس الإنذار لعل البواب ثقيل السمع يجرى لمأساته ، مرت ساعة .. عاد التيار ، اليوم جمعة والمحلات مسكرة . ذهب إلى محل البقالة الوحيد المفتوح . طلب منه المساعدة أعطاه مسكنا وشكره بشدة .

أعاد المحاولة .. كسر قفل الباب وأصبعه معه تقريبا . انقطع التيار مرة أخرى، انطلق فى الظلام إلى حجرة النوم ، تعثرت قدمه فى السجادة ، سقط بكل ثقله «ولا أجدع مارادونا فى أيام عزه » . سمع صوت شىء يتمزق .. إنها السجادة الشيرازى فخر العائلة .. وإنها أيضا قدمه . الألم شديد، اتكأ على رف المكتبة تهشمت تحت يده.. تبعثرت الكتب والمجلات وانكسرت زجاجة « الميكروكروم».. عاد التيار . سال اللون الأحمر يرسم لوحة سيريالية فوق ماتبقى من السجادة الشيرازى ، والكتب التى أحبها أكثر من زوجته الأولى ، والقميص الجديد الذى دفع فيه شيئا و«شويات».

نظر إلى اللوحة الحمراء وتساءل : كم زجاجة دم نقلوها إليها اليوم ؟

هذا هو اليوم الثالث لها فى حجرة الإنعاش . ابتسم فى سخرية . هل هى حقا فى الإنعاش ؟ يرقد معها فى نفس المكان خمسة عشر مريضا .

ثلاثة ماتوا هذا الصباح ومريضة فى النزع الأخير تئن بجوارها ، وطفلة مصابة بمرض خطير فى المخ ، وثلاث عمليات فتح قلب بين الحياة والموت . أى إنعاش هذا ؟

خلع ملابسه، سقطت الفاتورة من جيبه . لا ينتظرون حتى يشفى المريض،
كر عندما صرخ اليوم هلعا أمام رئيسة قسم الحسابات عندما تسلم
ـاتورة ، لم يلق بالا يوما إلى المادة ، لم يعرف معنى التوفير
التحويش» وتكويم الأموال ، لم يستمع إلى نصيحة الأصدقاء ويضع
ماله فى إحدى شركات توظيف الأموال . لكن أصحاب المستشفى
خصصى استولوا على آخر مليم فى جيبه دون هوادة .
السلطة الوحيدة التى تخضع أمامها ، وتحنى الرأس ، وتقبّل الأقدام ،
ـفع دم قلبك وأنت راض ومستسلم بالأمل فى الشفاء .
نهمرت الدموع من عينيه .. فتح الثلاجة ، لقد نسى الخس !
رع إلى التليفون الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .
ـ ماذا حدث ؟ كيف حالها اليوم ؟
ـ نحمد الله ، ونشكر فضله ـ عندك خس ولبن ؟ لقد نسيت شراء عشاء
ـلحفاة والقطة ، الحمد لله عندى ما يكفى للعصافير والكلب .
ـ هى فى الإنعاش وأنت قلق من أجل قطة وكلب ؟!
ـ مطلوب منى إذن أن أتركهما يموتان من الجوع ، إنهما مخلوقان..
ى ومثلك .
ـفعتنى الحقيقة ، لقد وجد فى قلبه مساحة لحب الحياة وسط مساحات
السواد والخوف والموت .
ضع السماعة ، أدار مفتاح الراديو ، بين اليقظة والنوم اختلطت
كلمات فى رأسه : خليج .. سلاحف .. قناصة .. عصافير ..

تشفى.. ضحايا .. صدام حسين .. كلب.. القومية
ـبية .. قطة .. القوات الأجنبية.. الفاتورة .
م راح فى سبات عميق ..



شهريار .. و .. أنا

لحظة خاصة جدا

ـ كان لابد من تسجيل اللحظة .

ـ مع انزلاق الطائرة على أرض المطار ، وكلما زادت سرعتها ، كان قلبى يختنق بين الضلوع .. انطلقت الطائرة واستشرى داخلى الانكسار .

كل عضلة فى جسمى يبست ، وتشققت ، غمرنى الجفاف . لجأت إلى كلماتك .. تأرجح الصمت داخلى بسعادة ورضا .

تلتف حروف الكلمات حول مشاعرى الغاضبة من هذا العالم فتحل السكينة جنباتى .. يبحر فى شرايينى تيار من النشوة .. نشوة إدراك أنك فى حياتى .. حقيقة .

الطائرة تمضى بين السحاب .. تسحبنى بعيدا عنك . لكنى مازلت هناك .. معك .. عقلى احتضن عقلك ورفض الرحيل .. فى الماضى كنت بندولا يتأرجح من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار .

حياتى سلسلة من فترات الفوران والثورة والرغبة فى تغيير العالم ، وفترات من الهدوء والاستسلام اللذيذ للواقع المر ، فترات من

الصحوة الحياتية والعقلانية ، وفترات من البلادة والأنانية . كنت أعيش داخل دائرة الحيرة . أترنح فى دنيا الأحلام المثالية ، أحلم بمستقبل يشنقون فيه الظلم ، ويشطبون فيه من قواميس الاقتصاد كلمة « حد الفقر » . مستقبل تنتحر فيه الحروب .

كنت أعيش داخل دائرة الحيرة . أحلم بالشقة ، والسيارة ، والمنافسة المجنونة ، والخاتم الماس ، وطفل يتحدث عشر لغات ، ورحلة حول العالم فى طائرة جامبو .

لكن تظل هناك خطوط عريضة محفورة فى العقل والقلب لم أتخل عنها أبدا .. خطوط إنقاذ !

عندك وجدت صورة طبق الأصل لما هو محفور فى نفسى وعقلى وقلبى .. تفجرت داخلى طاقات كانت راقدة بلا حراك .

تدفقت الحياة فى عيون الناس من حولى بعد أن كانت كرات من زجاج .

تغزونى الوحدة بعد رحيلك موجات وموجات من القشعريرة العقلية.

أفتقد حضورك فى المكان ، وتبحث دورتى الدموية عنك فى الفراغ، وتسكت أناملى عن الغناء بالحركة ، تتظاهر داخلى عضلاتى، وتهتف مسام الروح باسمك ، وتعلن شراييني الإضراب عن السريان.

قررت تهدئة هذه التظاهرة المجنونة .

وكانت صورتك هى أعظم اختراع حبوب مهدئة فى تاريخ الطب .



احتمالات الساطور

أرجو ألا يقرأ زوجى هذا المقال .

إذا كنت تقوم بطلاء جدران مسكنك ، وتحرص على القضاء على الصراصير بالمبيدات الحشرية .

وإذا اتفق ذلك بالصدفة ، ولا حياء فى العلم ، مع أيام معينة من كل شهر فى حياة زوجتك ، أو كانت المدام قد انجبت مولودكما الثالث منذ فترة وجيزة أو اقتربت من الخامسة والأربعين ولا نقول سن اليأس لا سمح الله .

فاعلم انك فى خطر مبين وأن احتمالات الساطور على الأبواب ! وهذا يا أخوة « كلام علمى » .. التفت إليه العلماء فى أنحاء المعمورة ولا أدرى لماذا نغض النظر عنه . فقد أثبتت التجارب العلمية أن بعض الكيماويات والمواد الطيارة النفاذة التى تدخل فى التركيب الكيميائى لمستلزمات الحياة العصرية يمكن أن تهيج مراكز العدوانية فى المخ وتؤدى إلى قيام الإنسان بأفعال هيستيرية شرسة . كما أن اختلال الهرمونات الأنثوية فى جسم المرأة يؤدى فى بعض الأحيان إلى حالات من الجنون .

ولا يخفى على الأطباء منذ قديم الزمن أن المرأة عقب الولادة تمر بحالات من الاكتئاب النفسى الرهيب نتيجة اختلال نسبة هرمون الاستروجين فى الدم ، وقد تصل فى حالات نادرة إلى حد الانتحار أو الجنون . وتعرف النساء جيداً أيام « النكد » الشهرية حين تزيد عصبية المرأة وتصبح « روحها فى مناخيرها » .. وقد حصلت بعض المتهمات فى جرائم قتل فى أوروبا على حكم بالبراءة لأن الطبيب أثبت أن القاتلة كانت تمر بتغييرات فسيولوجية وهرمونية أدت إلى التأثير على مراكز العدوانية فى المخ فانتابت المرأة حالة من الجنون المؤقت .

ولا يقتصر ذلك على المرأة فقط وإن كانت أكثر تعرضا لمصائب الهرمونات وسنينها ، فقد حصل قاتل لزوجته على البراءة لأن الطبيب اكتشف أن رائحة الطلاء النفاذة فى المصنع الذى يعمل به هيجت مراكز العدوانية لديه .

أنا لا أدافع عن هؤلاء النساء السفاحات وسواطرهن القاطعة ، لكن بينى وبينكم هناك هرمون نفسى أشد شراسة وتدميراً يؤدى إلى نفس المصيبة . وذلك عندما ترتفع نسبة هرمونات الغيرة والقهر والإحباط لدى المرأة وتنخفض نسبة هرمونات الحنان والإخلاص والأمانة عند الرجل وترتفع لديه نسبة هرمونات الخيانة والقسوة والدناءة ، لذا أنصحك عزيزى الرجل .. خللى بالك من الهرمونات لديها ، ولديك أيضا .



رسالة إلى رجل « حمش »

قام الدكتور « ستيفى شولتز » أستاذ علم الدراما بجامعة «لويفيل» بتوبيخ الطالبة « سوزان كيدى » بشدة ، وسخر من «خيبتها » أيما سخرية ، ومن غبائها المتناهى ! وقال لها أمام الطلبة إنها لن تحصل إلا على صفر ؛ لأنها هى شخصيا لا تساوى إلا صفرا كبيرا فى سوق العلم والذكاء ! فرت الدموع من عينى « سوزان » وكادت تختنق من الخجل .

قامت قيامة الجامعة .. « سوزان » وجيش من الطلبة معها قاموا بمظاهرة تهتف بسقوط الأستاذ المحترم .. التهمة هى جرح مشاعر طالبة .. إيقاع الأذى النفسى على تلك النفس المرهفة « واخذين بالكم معايا .. إيذاء نفسى » !

تم فصل الأستاذ ..

انبريت ، وأنا القادمة من حضارة آلاف السنين ، وخلفى تقاليد عريقة للدفاع عن الرجل .

ـ وماله يا ختى ياسوزان .. فى بلادنا يقولون : « قف للمعلم وفه التبجيلا » إنه رجل محترم .. ويكفى إنه رجل ولابد أن يحترم .. ثم يعنى إيه إيذاء نفسى ؟ هذا شىء لا يعاقب عليه القانون فى

بلادنا..

طبعا لم أستطع أن أعترف للأخت الأمريكية بحقيقة مؤسفة ، وهى أننا نعرف فى بلادنا الإيذاء البدنى والإيذاء العقلى . إذا كنا نتحدث عن أساليب المعاملة ، وعلى الرغم من أن الدين الإسلامى يعطى المرأة حق المطالبة بالطلاق ؛ إذا أشاح الرجل بوجهه بعيدا عنها ، إلا أن بعض الرجال لا يلتفتون إلى هذه الروح السمحة ، ويفضلون نظرية الرجل « الحمش » .

« الحمش » الذى يتزوج ويطلق ، ويكره ، ويضرب ، ويغازل ويخون ، ويهجر ويعذب ، ويظل هو الضحية .

« الحمش » هو الذى يحدث الكدمات البنفسجية حول العين . والسحجات الكحلية فى جدار القلب ، والبقع الرمادية فى نسيج الوجدان ويظل هو الضحية .

أما حكاية الحساسية و « القلب الرهيف » فمسألة غير مطروحة فى حضارتنا العريقة .

عمرك سمعت سيدة تلوم زوجها بعد خناقة حامية قائلة : « انا زعلانة منك لأنك عورتنى نفسيا .. وأحاسيسى بتوجعنى قوى .. ومشاعرى لونها أزرق من الكدمات » .

أتمنى أن نقف دقيقة حدادا على « الإيذاء النفسى » الذى مات ودفن فى حضارتنا ، ولم يتبق غير وريثه الشرعى « الإيذاء البدنى » الذى نشأ ومازال يترعرع فى بيوتنا !



المدام .. درملى

كانت جلسة نسائية نظام « خمس نجوم » .

وجوه جديدة تتعارف لأول مرة ..

أنا مدام نابلسى ، وأنا مدام شاهين .. أنا مدام خضر وأنا مدام العطار .. وهكذا وجدت نفسى وسط باقة من « المدامات» الأنيقات، بنات الأصول ، كريمات الحسب والنسب ، و« كريمة » المجتمع . المقصود هنا القشدة . أو « وش القفص » فى قول شعبى لا محل له من الإعراب فى تلك الجلسة .

نظرن إلىّ في تساؤل ، فكرت ودبرت كثيرا وابتلعت حيرتى :

ـ أنا اسمى هالة .

ارتفع الحاجب الأيسر لمدام بطاطا ، والأيمن لمدام فيظى وارتفعت حواجب الشرنوبى والأرنوبى بالجملة . ماهذه السوقية .. كيف أكشف

عن سر الأسرار ، فإن كنت مدام « فلان » فلابد أن أكشف عن درجة جلوسى على سلم المجتمع ، أما إذا كان حظى « أسود » ومازلت آنسة ، فلابد أنى « مدموازيل علان » أصول اللياقة والشياكة والاتيكيت تحتم علىّ استخدام اسم رجل وأنا أقدم نفسى وفى جيبى جواز سفر يحمل أمام خانة الجنس .. أنثى !

ـ فى البلاد المتحضرة تحمل المرأة اسم زوجها .

ـ والأب الذى أنجب وتعب وربى ، ورابطة الدم وقيم الأبوة يشطبها المأذون بجرة قلم .

ـ الزوج هو الذى ينفق .. ويفتح أبواب المجتمع على مصراعيه .. هل يقبل المجتمع مداماً « بمفردها » . « بطولها » ؟

بعد لحظات اكتشفت أن مدام درملى كانت مدام متولى من قبل لأن الاسم يتغير مع كل زوج وكل طلاق .. وكل خاتم سوليتير وكوليه ماس .

خرجت من اجتماع القمة وأنا لا أعرف اسم مدام واحدة .. طلبت من صديقة فى اليوم التالى هذه المعلومات السرية فقالت :

ـ توتا ولولا وفوفا ..

ومازلت لا أعرف اسماءهن الحقيقية !

ومع حبى واحترامى يازوجى العزيز لن أتنازل من أجلك عن هالة أو الحاج سرحان .



الرجـــال « قليـل »

« رجل والرجال قليل » .

قالتها صديقتنا فى حسرة . ومضت تؤكد ان هناك قحطا فى سوق الرجال . وأن كل الرجال المحترمين .. متزوجون . وأن البنات والمال والجمال يبحثن عن الرجال ولا حياة لمن تنادى .

وإذا كان الرجال « قـلـيـل » أيام زمان ، فـهـل أصـبـح الـرجـال « مـفـيـش» ، فى هذا الزمان . وأرجو ألا يغضب أصدقاؤنا الرجال وأؤكد لكم أننى لست من حزب المدافعات عن حقوق الجنس الناعم ، لأننى أومن أن الإنسان إنسان فى المقام الأول قبل أن يكون رجلا أو امرأة .

لكن مفهوم الرجولة أصبح يحمل علامات استفهام كثيرة فى هذا الزمان . الرجولة المسئولية .. القرار والحسم .. الكرم والحماية .. الشهامة والإيجابية .. ونحن عندما نشير إلى منصب كبير نستخدم كلمة « المسئول » .

هل الرجل مسئول فى هذا الزمان ؟

فى زمان أصبح فيه عدد المليونيرات كعدد حبات العنب والفقراء كعدد حبات السمسم ، أين الرجل المسئول ؟

فى دول الغرب يأخذ كل مسئول (بمعنى الرجولة وليس بمعنى الحكومة) على عاتقه بناء مستشفى أو مسرح أو مدرسة ، أو يقوم بعمل تطوعى .

تذكرت الطبيب الهندى الذى نذر نفسه للعمل فى مخيمات اللاجئين ، وعواد مبارك قائد انتفاضة القوى السلبية بالأرض المحتلة، وضابط المطافىء الرائد البطوطى الذى ألقى بنفسه بين ألسنة النيران كى ينقذ طفلة . والأمير تركى بن عبدالعزيز الذى يقوم بتعليم الطلبة النابغين الفقراء على نفقته الخاصة فى جامعات العالم ، ويترأس اتحاد محاربة السرطان العالمى .

(رجل والرجال « قليل »)

فأين هم رجال هذا الزمان ؟ المسئولية ليست اسما أو لقبا ، المسئولية والرجولة ممارسة ، فأين هم رجال هذا الزمان ؟

زمان الرولز رويس ، وصيف مونت كارلو ، والساعات الماسية ، والبوتيكات الباريسية .

زمن شراء وبيع الدم واستبدال النخاع ، وحرب العشرين عاما .

زمن السرطان !

يقولون « امرأة بعشرة رجال » أو « رجل ولا كل الرجالة » ، ونحن مازلنا نبحث عن رجل برجل واحد!



أنت طالق !!

أقف وظهرى ملتصق بجدار عملاق .

جدار مارد تعانق حافته السحب ، جدار عريض سميك بعرض المحيط وعمق البحار .

تسرى فى عظامى برودة حارقة وأدرك أنه لا مناص .

أتدحرج بعيدا عن الجدار ، يرتطم جسدى بحوائط من زجاج غير قابل للكسر .

قلبى سجين مكبل بسلاسل حديدية . وعقلى مخنوق بالبكاء .

قامت داخل عقلى جنازة . جنازة كاملة .

مازالت طبول الحزن تدق بين ثنايا المخ ، وصرخات الندابات تشرخ

صمت الأوردة .

أتدحرج بين جدرانى الصماء ، أرتطم بجدارى مثنى وثلاث ورباع !

لا مناص .

أجروا عملية إجهاض لقلبى ، استأصل مشرط الجراح كل المشاعر وكل الأحاسيس .

انتزعت سكينه الحاد كل آثار الحب والعشق والجنون .

يعلو صوت الصرخات الملتاعة فى شراييني .

ويتردد صدى الصمت الرهيب داخل زنزانة الجسد .

لا مناص .

اليوم فقط غيرت اسمى .

أصبح اسمى (الخوف) .

وأصبح لقبى (الرعب من المستقبل) .

وأصبح وجودى (الضياع) .

اليوم فقط أدركت إننى زوجة شرقية .

اليوم فقط عرفت معنى الأرقام ، مثنى وثلاث ورباع .

اليوم فقط أدركت حدود العالم من حولى ، وأن خريطة حياتى ترسمها كلماتك ، وإن بإمكانك أن تحذفنى من خريطة الوجود والناس والأمومة والحب والعطاء والاحترام بكلمة .

اليوم قلت لى :

أنت طالق !!

أنف .. وثلاث عدسات

عينه زاغت ....

تزوج عليها .. والسبب زهق .. طهق.. يريد التغيير .

انفجر جرس إنذار فى نافوخى ، فعلى الرغم من أن زوجى طيب وابن حلال إلا أن احتمالات زوغان العين والملل الزوجى قائمة بشدة .. والصبايا الملاح أكثر من الهم على القلب ، وسوق الزواج مضروب ونسبة العنوسة فى ارتفاع جنونى .. والوقاية أهم من العلاج .

التغيير والتبديل مفتاح الأمان .. كيف ؟ تلك هى المسألة .

وأنا قد استهلكت مثلى مثل النساء من تلك الفئة الناقصات عقل فقط ، استهلكت كل ألوان أحمر الشفاه الموضة وصبغت شعرى مرة أحمر ومرة أسود ، لكنى لم أتجرأ بالطبع على اللون الأشقر .. بالله عليكم كيف أصبح شقراء وأنا سمراء ؟

كان تحدى مارلين مونرو يؤرق أيامى وليالى حيث أن زوجى تزوغ عيناه أمام الشقراوات وخاصة لو كان الجمال من عينة البنت كاترين

دينييف وتلك المجرمة التى تقوم بدور بيج فى مسلسل نوتس لاندنج، والتى تطلع علينا كل مساء فى التليفزيون .. تعقيد يا أخوات !

وجدتها .. تسمرت أمام الفترينة .. الطريق إلى عالم الشقراوات مفتوح على مصراعيه .. عدسات لاصقة زرقاء ، خضراء وبنفسجية.

دخلت .. رشقت المتخصصة إصبعها فى عينى وعليه العدسة القطقطية فإنهالت الدموع من أنفى ! استمرت المرأة فى هذا العمل التعذيبى السادى ولم تتوقف على الرغم من توسلاتى ، قائلة : أصعب مرة هى المرة الأولى !

بعد تجربة عدة ألوان خرجت لاهثة هاربة ، عيناى كما الطماطم وأنفى أصبح فى حجم الرمانة وسقطت الرموش المتبقية من آثار الماسكارا اللعينة .

أشارت على صديقة باقتراض عدساتها القديمة وتجربتها على مهل. وضعت العدسات « السلف » فى عينى لم أكن أعلم أن العدسات منقوعة فى ماء مالح للتطهير منذ عام تقريبا ، فإذا بنار حارقة تشتعل فى رأسى .. والجهل نور !

ذهبت إلى الدكتور محسن سالم طبيب العيون الذى أنبنى وخرجت من عنده وأنا زرقاء العينين هيفاء المشاعر . سألته عن عدسات حمراء لاستخدامها مع الموظفين إياهم.. فى مؤسسات التواكل والاستهتار وفوت علينا بكره..



نكدية

نكدية أنا لم يصبح هناك مجال للشك .

نكدية وثقيلة الظل وصديقة للهم والغم وليس للفرح والانبساط واحتمالات الخطر تداعب حياتى الزوجية .

لقد صبر الرجل وحاول تطبيق مبدأ « الحب أعمى » وتجاهل سلسلة طويلة من السيئات التى أتمتع بها عن جدارة وأولها عشقى الشديد لموسيقى العم بيتهوفن وأوبرا عايدة التى غالبا ما أتغنى بها فى المطبخ وربما الحمام ! ويعزى ذلك إلى جهلى الشديد بكلمات الأغانى الظريفة الخفيفة مثل « الطشت قاللى » وقد رضى الرجل بهواياتى الكئيبة وبقسمته ونصيبه ، حتى جاء اليوم المشهود .

يوم مبارا ة الكرة .. وأنا نكدية لا أحب الكرة يا أصدقاء .

لم أكن أدرك أبعاد المصيبة .. وعندما أبلغنى زوجى أننا سنشاهد مباراة الجمعة فى منزل حماتى العامر ، أخذت المسألة ببساطة ولا أخفى عليكم فأنا أفرح عند تلقى تلك الدعوة لأسباب عديدة . لأن فى ذلك أجازة لى من غسيل الصحون ، كما أنها طباخة «محصلتش لسه» تقدم للرجل مالذ وطاب يسند به قلبه حتى الدعوة التالية . كما

أننى فى هذه الأحوال أمارس هواية الكسل اللذيذ وقراءة مجلات ديكورات المكاتب (لاحظوا الملل) .

وصلنا ، فإذا البيت فى حالة تأهب قصوى، لا غداء، ولا عشاء ولا حتى مجلات ، نظر إلى حماى الجليل نظرة تعجب ممزوجة بالتوجس ، وقال : سوف تشاهدين المباراة معنا طبعا .. أليس كذلك؟

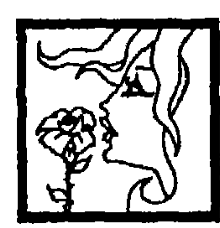
وألقيت بالقنبلة دون أن أدرى .. ليه .. هى الحكاية إيه ؟

الحكاية انها المباراة المصيرية .. دخول نهائى كأس العالم . ياسلام .. وإيه يعنى ؟

منذ ٥٠ عاما .. الأمل .. الحماس .. الترقب .. دخان السجائر .. أبواق سيارات .. أصبت بحالة هيستيريا كروية .. جلست ـ مرغمة أختكم لابطلة ـ أشاهد المباراة .

وارتكبت غلطة تؤدى إلى الطلاق .. بدأت أسأل وأعلق أثناء المباراة ! من هذا اللاعب ؟ أين الحكم ؟ ضربة جزاء لماذا ؟ الأولاد «بينضربوا » .. لماذا لا يضربون ؟ لماذا لا يشوطون الكرة فى المرمى وخلاص ؟ . ياترى تعبوا ؟ من هذا اللاعب ؟ الخ .. المهم .. كانت تعليقاتى مثار استياء جماعى وسبب عكننة عائلية فى هذه اللحظات التاريخية التى لم أشهد لها مثيلا أيام الحرب ..

حاصرتنى النظرات النارية وكانت فضيحتى بجلاجل .. لقد اكتشفوا عدم انتمائى لفريق كروى وجهلى المطبق بأصول اللعبة .. نكدية .. ومملة .. وكئيبة ولا تفهم فى الكرة .. أليس هذا سببا كافيا ؟ ابحثوا لى عن مأوى .



تزوج .. ولم يعد !!

سمعته بأذنى ..

كان يحدّث صديقه الحميم على الخط الثانى .. أقسم انها صدفة ولم أقصد أبدا التلصص .. كان يعترف .. قالها « بعظمة » لسانه (أين هى تلك العظمة لا أدرى) ؟

الأستاذ زهقان .. طهقان .. يبحث عن مساحة للتنفس .. يتوق لساعات الوحدة .. اكتشف أن الزواج يعنى « أن تكبس الزوجة على نفسه » .

الزواج يعنى أن الرفيق قبل الصديق. ذلك الرفيق الذى يملى إرادته بجبروت وبدعوى الحب والمشاركة ، ذلك الرفيق الذى يستعمر تلك المساحة الشخصية جدا فى حياته . الرفيق الذى يشاركه فى الأكل والشرب والمكان والزمان ويتدخل فى وضع خطط حياته اليومية والشهرية .

كيف يحصل على مساحة خارج الزمن ؟ كيف يحصل على يوم جمعة ثامن فى الأسبوع يلتقى فيه مع نفسه التى خرجت من بيت الزوجية مطرودة شر طردة .

إنه يتوق للقراءة .. الكتابة .. التأمل ، والكسل اللذيذ .

الأستاذ يعترف أنه تم الاستيلاء عليه وصدر صك امتلاكه واحتكار أفكاره ومصادرة « خلوته النفسية » صدرت تلك الفرمانات فى «وثيقة الزواج» . الأستاذ يعترف أنه عاش . أجمل لحظات حياته

الزوجية الجديدة ، عندما تركته وذهبت للعزاء فى ابن خالة عمته !

يعترف أنه استمتع بلحظات الحرية الجميلة .. « برطع » كما الجحش الصغير الذى اكتشف سر « البرطعة » لأول مرة بين جدران البيت .

معادلة صعبة تتشابك فيها كلمات احترام الذات ، والكينونة ، والوجود الفردى ، والحرية الشخصية . كده ؟

خرجت الكلمة بدون وعى منى على السماعة الثانية :

ومن قال لك يا أستاذ أن الزوجة لا تبحث عن مساحة « للخلوة النفسية » هى الأخرى ؟ من قال لك أن شهرزاد سعيدة بوجودك الشهريارى الدائم فى حياتها ؟

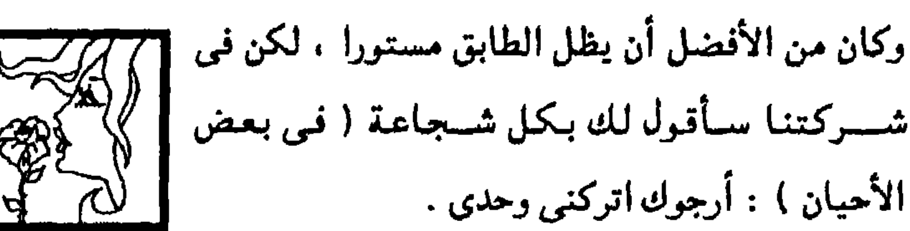
إليك آخر نشرات أخبار الزواج السعيد :

* شهرزاد تفرح بشدة عندما تسافر يا أستاذ ، لأنى سوف أبرطع بدورى ، وأصحو وأنام كيفما وحينما يحلو لى .

* شهرزاد طهقانة وزهقانة من قراءتك للجرائد اليومية حتى الثالثة صباحا ، ويحسن أن تقوم بفعلتك الثقافية فى حجرة أخرى .

ولمعلوماتك أنا أحب الاستماع للراديو قبل النوم ، لكنى أحرم نفسى من تلك المتعة من أجل عيون سعادتك .

أنا أيضا أبحث عن مساحة للتنفس ، للشهيق والزفير ، لأنك أيضا تستعمر لحظاتى الخاصة . والعين بالعين والسن بالسن والبادى أظلم،



وكان من الأفضل أن يظل الطابق مستورا ، لكن فى شركتنا سأقول لك بكل شجاعة (فى بعض الأحيان) : أرجوك اتركنى وحدى .

تليفون الغرام

مثلى مثل كل الشخصيات الاستهلاكية تفرحنى الاختراعات الجديدة . أتوق إليها كما يتوق الطفل المحروم إلى لعبة فى الفترينة . والشخصية الاستهلاكية شخصية « زنانة » تزن حتى تحصل على المراد .

وأنا مازلت « أزن » على زوجى حتى نشترى ذلك الجهاز الجميل الذى يبهرنى كلما شاهدته على شاشة التليفزيون ، أتوق بشدة إلى تليفون « وايرلس ».. تليفون بدون سلك .

وأتذكر سنوات المراهقة وأشعر بغيظ لأن هذا التليفون لم يظهر فى تلك الأيام .. حيث كانت مسألة سحب التليفون إلى حجرتى بعيدا عن عيون الرقابة المنزلية الحديدية تتطلب خطة معقدة ودهاء كبيرا ، وكان السلك الملعون هو الذى يفضحنى فى كل مرة حتى لو اختفيت أنا والتليفون تحت البطانية .

والتليفون الجديد أصبح له دلالة اجتماعية تضع أصحابه فى فئات الناس « الشيك ».. هذا بالإضافة إلى الشعور بالحرية والإنطلاق

كالفراشة بالسماعة من حجرة النوم إلى المعيشة إلى الحمام !

لكن ماقرأته وسمعته عن « التليفون الحر » أثار فى نفسى رهبة ووجلا .

مصيبة هذه التليفونات أنها تنقل الصوت عبر موجات لاسلكية ومن السهل على أى إنسان أن يضبط جهاز الراديو على نفس الموجة فيستمع إلى مسلسلات الغرام الدامى والمشاجرات الزوجية والفضائح اللولبية .. ولا يخلو الأمر من صدفة تداخل الخطوط وهى صدفة «تودى فى داهية» .

والداهية كانت من نصيب مليونير أمريكى ، رزق بجار فضولى التقط موجة تليفونه بالصدفة فأعجبه المسلسل وظل يتابعه أياما وأسابيع بل قام بتسجيل الحلقات (أقصد المكالمات) الدرامية حيث كان المليونير يعقد صفقات فى تجارة المخدرات . تحرك ضمير المواطن وأبلغ الشرطة وضبط المليونير متلبسا أثناء مكالمة تليفونية «لاسلكية». بعد سماع هذه القصة أصبنا جميعا بالقلق على مستقبل مكالمات النميمة القاتلة التى نستمتع بها ، ثم أصبنا بالهلع حين ضبطت صديقة زوجها متلبسا بحديث غرامى على الموجة القصيرة .. وأدركنا أن هناك أشياء فى هذه الدنيا من الأفضل أن تظل خافية علينا .. والحمد لله يازوجى على التليفون « أبو قرص » المتخلف ..

و .. التليفون وسنينه .

ساعة تروح وساعة تيجى !

قال حماى العزيز :

أرجو يابنتى أن تعدى من واحد إلى عشرة قبل فتح ذلك الفرن الذى تخرج منه حمم وبراكين وحرارة تتعدى درجة الانصهار ، ذلك الفرن خطر .. خطر .. ذلك الفرن يكوى بلهيبه كل من يقترب منه ويترك آثارا لا يمحوها إلا الدم !

الفرن الذى يقصده حماى العزيز ليس موجودا فى مطبخنا العامر ، بل يقع فى منطقة الفك ويضم شفاها لا ترحم ولسانا لا يسكت أبدا ، وذلك فى موقع رأسى على خريطة الجسم يطلق عليه « دماغى » .

وحماى فنان أصيل ، شخصية جذابة طاغية ، فاهم للدنيا والناس وأستاذ فى تحليل « البنى آدمين » ، وهو ديمقراطى حكيم (أى أستاذ فى الديبلوماسية) . و« متعب حبتين » لأنه يسمح بحرية النقاش والجدل الذى يصل إلى حد « المناكفة » .

كان يشجعنى دائما على إبداء الرأى منذ التحقت ببنوته الكريمة ، لكن مع مرور الأيام اكتشف حماى العزيز أن ابنه الطبيب المؤدب المهذب المحترم تزوج من كارثة اجتماعية . واكتشف فيما بعد أننى مدمنة ومصابة بداء اسمه الصراحة . ويقر حماى بأنه شىء مثالى

وعظيم من الناحية النظرية لكن على أرض الواقع فإن الصراحة صفة مطاطة . وعلى لسانى تصبح الصراحة ـ أحيانا ـ جرأة أو طول لسان وجرحا للمشاعر وأحيانا أخرى .. (شوف ياخويا البنت !) .

المشكلة أن هناك صلة صداقة وطيدة تربطنى بحماى العزيز ، ولا أتركه أبدا فى جلساته ومنتدياته الثقافية والفنية وهى أرض خصبة لممارسة داء الصراحة اللذيذ ، فإذا سألتنا فنانة عن دورها فى الفيلم الفلانى، يرد حماى بديبلوماسية البارونات : « إنه جميل .. وإن كان دورها فى الفيلم العلانى منذ ١٠ سنوات أجمل » ! .. أما أنا فأنبرى سائلة إياها : « لماذا قبلت دورا يصلح لابنتك ؟ ثم ماهذه البوية والأصباغ والبمبى المسخسخ الذى لطخت به وجهك ؟ وكيف تضع فلاحة رموشا وأظافر صناعية وتصفف شعرها « بوكلات » عند غريب كما الهوانم الشيك ؟! أما أنت أيها المخرج فأرجوك اتجه لإخراج الأفلام الهندى وليس العربى .. فيلمك يحض على الرذيلة يارجل .. أين أخلاقيات الفنان ؟

وما انفك ومافتىء ومابرح حماى العزيز عن محاولات إصلاح ما أفسده لسانى من علاقات .. وتفسيرى البرىء له إن « عبارة لسانك حصانك إن صنته صانك » تعنى أننى أصون لسانى بالصدق .

أما تفسير حماى فهو أن لدى شعرة جنون ونزقا فنيا وأدبيا لطيفا (ساعة تروح وساعة تيجى) ولقد اتخذ قرارا حاسما بالتدخل الاستراتيجى السريع (حينما تجىء) فيصرخ محذرا :



هالة : ١ .. ٢ .. ٣ ..

.. وغرق فى بحر الرغاوى

ياعم عطية .. أرجوك عتبة البيت فى حاجة إلى تنظيف بماء النار ، ولا تنس تخفيف صابون تنظيف الأرضيات والحمامات المركز من باب التوفير والتدبير .

وكانت عشوة سمك مقلى « وكُل وبرق لى » على حد قول الراحل العظيم صلاح جاهين ، أما زوجى .. فأكل وبرق للهوانم النواعم .. كبست الكبسة ، وعدنا .. ونمنا ووصل هدير الشخير الى الدور التاسع .. ونمت نوم قبائل الماو ماو بعد رحلة صيد شاقة .

عطشان .. عطشان .. قومى يا حبيبتى .

أقوم ؟ أقوم مين ياإخوان ، والنوم سلطان ..

لم يجد بدا .. عين مغمضة والأخرى « بترف » ياحبة عينى ، وعلى الثلاجة .. وعطشان ياصبايا دلونى على زجاجة الماء المثلج .. شرب .. ووقفت الميه فى « حلقه » صراخ ، عويل ، إلحقونى .. إلحقونى .. (هلب) بالانجليزى ، فى وسط المعمعة (ثقافته إنجليزية الأستاذ) ، أما أنا فثقافتى شعبية تدخل فى إطار : يامصيبتى .. يابلوتى .. وياوكستى .. والأستاذ يصرخ : انطقى ، ماذا وضعت فى الزجاجة يامدام ؟ اعترفى .. نار فى جوفى ..

ـ عم عطية .. مية النار .. تداعى الأفكار .. أصابتنى حالة هلع كقرد مكتئب .. ويانارى .. زوجى راح فى شربة مية نار .. أين الزجاجة اللعينة ؟ لحظة من فضلك .. فكر ثوانى واكسب دقائق ..

الزجاجة بلاستيكية حقيرة ، لو كان ماء النار لأذابها وهرسها هرسا !
هدوء من فضلك .. لا الحمد لله ، إنه صابون تنظيف الأرضيات المخفف بماء « الحنفية » .

ـ نار يا امرأة .. فى لسانى وجوفى وبلعومى وأمعائى والاثنى عشر والقولون العصبى .. مسلسل قتل الأزواج لم ينته بعد .. قتلتينى بالصابون يامفترية !

.. وشر البلية ما يضحك .. ولا تحزن ياحبيبى .. المرة القادمة سيكون صابونا بالبارفان .. إنها العدالة الإلهية .. عملية غسيل لسان لأستاذ الغزل ، الذى لم يرفع عينيه طوال عشوة السمك عن الهانم « ورد الجناين » صاحبة الضحكة الرنانة والفستان المينى جيب.. واتفضلى يامدام .. ومن يد مانعدمها يافندم ياذوق الذوق(١). وأنا أتفرج كما كومبارس يقوم بدور شجرة فى مسرحية هزلية سخيفة.

.. وعلى المستشفى .. تصدقوا .. رفضوا علاجه لأنه حادث يدخل تحت بند محاولة انتحار « بالصابون » .. وآه يابطنى .. وآه يابلعومى ، ودكتور إلحقنى « الرغاوى جوه فى بطنى » .. لكن كان لابد من تحقيق ونيابة وإثبات حالة .. وطبعا حصلت على البراءة من تهمة القتل بالصابون .. أما هو .. فالحكم مع وقف التنفيذ .

وشكرا ياعم عطية على الغلطة البريئة .. « اللى هيه » !

شيء من الاحترام

أنا فى حيرة شديدة !

أبحث عن معيار الاحترام الحقيقى فى مجتمعنا العربى .

مجتمع « الأستاذ » و « الدكتور » و « البروفيسور » و«الموسيقار» .

مجتمع « حضرتك » و « سيادتكم » و « سعادتك » و«معاليك».

مجتمع الأدب والوقار واحترام الأكبر سنا والأكثر خبرة .

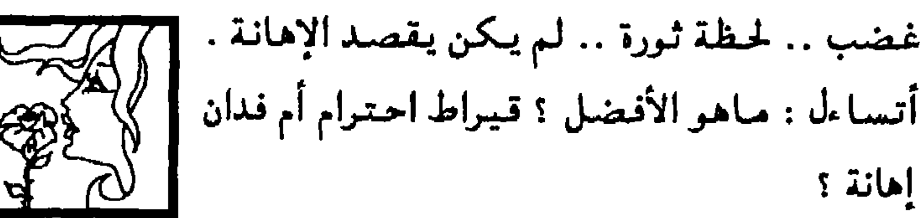
مجتمع الترقى بالأقدمية ، وفتح باب السيارة ، وسحب المقعد ، وإشعال السيجارة « للسيدة » .

مجتمع أرجوك لا تتفوه بكلمة جارحة أو لفظ مشين فى حضور « المدام » .

مجتمع الرجل الشهم الذى لا يمد يده على « حرمه » .

أسافر . .

أتأمل هذا المجتمع الآخر « مجتمع الخواجات » «المجتمع الغربى».
تتردد على لسانى عبارات الإدانة والسخط لأنه :
مجتمع تخلى عن الألقاب .
مجتمع ينادى فيه طالب الجامعة أستاذ الدكتور باسمه المجرد وربما « اسم الدلع » .
مجتمع « الدكتور » فيه هو طبيب داخل عيادة .
مجتمع حذفت من قواميسه كلمة « أستاذ » و « بروفيسور » واختفت من لغته تعبيرات « أنتم ونحن » وأصبحت فيه « أنا » هى أهم كلمة فى القاموس .
مجتمع ينادى فيه الطفل أباه وأمه بالاسم بدلا من « ماما وبابا »
مجتمع تطالب فيه المرأة بالمساواة مع الرجل حتى فى رياضة « حمل الأثقال » و « كمال الأجسام » و « المصارعة الحرة ».
مجتمع تغضب فيه المرأة إذا تجرأ رجل وفتح لها بابا أو أفسح لها مكانا فى « الأتوبيس » .
أعـود .
أتأمل ذلك الأدب الجم ، وقار الرجل الشرقى واحترامه الشديد لكينونة المرأة ، خارج جدران المنزل .
أتأمل الرجل الشرقى وهو يضرب زوجته ، ويشتم ويسب بأقذع الألفاظ ويثور ويغلى ، ويضرب ، ونقول معذور إنها مجرد لحظة غضب .. لحظة ثورة .. لم يكن يقصد الإهانة .
أتساءل : ماهو الأفضل ؟ قيراط احترام أم فدان إهانة ؟





شكة الدبوس

من هى المرأة الأخرى فى حياة الرجل ؟

وكيف تدخل المرأة الأخرى حياة الرجل ؟

المسألة ليست صعبة فى هذا الزمان ، حيث الرجل طفل كبير ، وهى تحدث مثل « شكة الأبرة » وهذا موضوع دراسة سيكولوجية قامت بها أستاذة علم نفس « أتعبتها حكاية المرأة الأخرى » ، أو فى قول آخر هى امرأة مصدومة صممت على البحث والتقصى وتحذير بنات جنسها الساذجات .

وجدت السيدة المصدومة حقائق غريبة ومريبة ، ومن الأفضل ألا يقرأ الأزواج هذا العمود ، لأن « خناقات حامية » ستتبعه ، وتنتهى بعبارة « مش قلت لك يا أستاذ .. أنا كان قلبى حاسس » !

وذلك لأن السيدة المصدومة اكتشفت أن المرأة الأخرى تعيش بيننا وأننا نشجعها ونهدهدها ، وكل زوجة نائمة فى العسل !

فبعد عمل إحصائية لولبية اكتشفت صاحبة الدراسة التى نشرتها فى كتاب بعنوان « المرأة الأخرى » أن التى تتربع على قائمة النساء الخاطفات فى حياة الرجل ، والتى تستولى عليه بثقة ونجاح كبيرين ، وتعطى الزوجة أكبر « بمبة » عادة ما تكون « الصديقة » وليست أى صديقة بل أعز الصديقات ، وفى قول خواجاتى الصديقة «الأنتيم»!

صاحبة الدراسة جاءت بأسباب ومبررات أهمها ، أن الصديقة العزيزة تغوص فى حياة الزوجين ، وتقوم أحيانا بدور حمامة السلام العاقلة « الراسية » فلها بين الزوجين تواجد دائم « ومن عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم » !

هذا بالإضافة إلى التبسط فى المعاملة والاقتراب السهل من الأطفال ، فهى كالأخت وإن لم تكن !

فجأة تجد الزوجة الساذجة أنه قد : « طار طيرك وأخذ غيرك » !
وفى قائمة المرأة الأخرى تربعت أيضا ، السكرتيرات الفاتنات ، والمبرر النفسى الذى جاء فى الدراسة هو أن السكرتيرة تقوم بدور الزوجة الحنون والأم فى المكتب ، ترعى الرجل ، تقدم له «المشاريب» وتحضر له الطعام إن لزم ، وتستقبل ضيوفه « وتوضب » له دفاتره وأوراقه ، فيحدث نوع من الاتكالية ثم الارتياح .. ثم التعود .. ثم الواقعة الكبرى والحب العنيف !

بعد قراءة هذه الدراسة .. «هل كان قلبك حاسس يا عزيزتى ؟!»!

عن الحادث .. والسيارة .. والحزام!

كانت المرة الأولى فى حياة عمتى صفية التى سافرت فيها إلى الخارج ، لم تكن الدنيا تسعها من الفرحة . وعندما حطت الطائرة بمطار لندن فتحت عيونها وقلبها بكل الشوق لرؤية هذا العالم الجديد. جاءت عمتى إلى بلاد الانجليز وأملها أن ترى الملكة إليزابيث فى شرفة قصر بيكنجهام . خرجت من المطار وركبت التاكسى الإنجليزى الأسود العتيق ونظرت حولها فى دهشة .

ـ ماذا حدث ياناس .. يا للهول .. ياللعجب .. يادى المصيبة هى الملكة ماتت ؟؟

ـ لا ياعمتى العزيزة الملكة بخير ، والحمد لله ، ما الذى يدعوك لهذا القول ؟

ـ إذن ماهذه الأوشحة السوداء التى يتشح بها سائقو السيارات على صدورهم ؟

انفجرت ضاحكة ، وقلت لها : ياعمتى العزيزة هذه أحزمة الأمان المفروض على كل سائق وضعها طبقا للقانون ، وإذا أهمل ذلك يدفع خمسين جنيها استرلينيا غرامة لأنه يعرض حياته للخطر .

تعجبت عمتى من منطق الإنجليز الغريب ، وقالت : يعرض حياته للخطر . طب وهم مالهم ، وهم كانوا من بقية العائلة الكريمة ؟! ثم

هل يخافون على الإنسان أكثر من خوفه على نفسه؟ .. وسكتت قليلا وبعد برهة من التأملات سألتنى فى دهشة : وهل معنى ذلك ياابنتى أنهم لا يخافون علينا فى بلادنا ؟ لم أسمع فى حياتى عن مخالفة حزام ولا يحزنون !

ـ نعم يا عمتى .. لأن حياة الإنسان عندنا رخيصة ، ولا يوجد عقاب رادع لكل من يكسر « إشارة » أو يكسر « رقبة » عابر طريق .

نربط الحزام أم لا نربطه تلك عقد خواجاتى .

نحن أناس لا نحب ولا نحترم القانون ، ومعاداته طبع يجرى فى دمائنا وصفة تدخل تحت بند الشطارة والتفاخر فى قاموسنا ، وأنت عظيم إذا استطعت أن تحطم وتتحدى كل القواعد وتفلت كما الشعرة من العجين ، وإذا لم تدفع مخالفات المرور فذلك دليل على الفهلوة والأبهة . ونحن ناس نكره الالتزام والتخطيط ونعشق الصدفة واللحظة ، ولا نخشى شيئا حتى تقع الطامة الكبرى ونكتشف أن طائراتنا دمرت عن آخرها قبل أن يحلق لها جناح ، ونكتشف أن شركة توظيف أموال لهفت تحويشة العمر ، وحلقت بجناحيها فى إتجاه سويسرا ، ونكتشف فجأة وبعد ٣٠ سنة أن القطاع العام خسران!



فكيف بالله عليكم نضع حزام الأمان أثناء القيادة خشية انقلاب السيارة ؟.. فنحن الذين اخترعنا القيادة .. ونحن الذين « دهنا المستقبل دوكو » .

كلمنى .. فهمنى !

ملل .. ملل .. ملل .

وفى المساء يهبط الملل .

وكانت ليلة من ليالى الملل الزوجى المعتاد ، جلسنا فى حالة تبلد واستسلام لوسائل القهر التليفزيونى ، نشاهد فيلما نكديا (عربيا طبعا) .

وحتى لا تسرى عدوى الهم والغم السينمائى إليكم ، سوف أختصر حدوتة الفيلم البائس الذى يدور حول مأساة شاب أصيب بالخرس ، وأصرت حبيبته المخلصة بنت الأصول على مواجهة وتحدى الأهل والأصدقاء والمجتمع ، وتزوجت الأخرس .

دارت الوفية النقية به على العيادات والمستشفيات تبحث عن الدواء الناجع .. تراجيديا تمزق القلوب « وتفرتك » الأحشاء ، جعلت الدموع تنهمر أنهارا وبحارا من مقلتى .

وجلست أمصمص الشفاه متعاطفة (وهى عادة سيئة ورثتها عن سيدة الشغالة) ، ولم أتوقف البتة عن إبداء عبارات التعاطف التى تصل إلى درجة الندب فى بعض الأحيان من صنف (ياحبه عينى ياختى .. يامسكينة .. ياوفية ، ياطيبة ، يامثالية .. والمكتوب على الجبين لازم تشوفه فى سهرة تليفزيونية) ، حتى جاءت لحظة أصيب فيها الزوج الأبكم بهستيريا الشك ، فسألته زوجته الحنون بسذاجة وبلاهة عما أصابه، فأمسك بتلابيب نفسه فى عصبية وذلك فى إيماءة ، على طريقة يوسف وهبى ، تعبر عن شعوره بالقرف والاختناق الزوجى . لحظة درامية متأججة يصعب فيها حال المذكور على المشاهد مرهف الحس رقيق المشاهد مثلى ، وإذا بالأستاذ زوجى ينفجر ضاحكا ، حتى بلغت به القهقهة ذروتها ،

وسالت الدموع من عينيه من فرط الانبساط .

تعجبت !

ونظرت إليه نظرة شزرة كلها لوم وتبويخ .

فإذا به يدلى بتصريح شهريارى جعلنى أستشيط غضبا ..

الأستاذ يعتقد أن اختيار الزوج الأخرس ضربة معلم كوميدية ، لأن تراجيديا النكد الحقيقى هى التى تصبح فيها المرأة خرساء بكماء مقطوعة اللسان (من لغلوغه) ، وتلك فى رأى الفيلسوف زوجى قمة المفارقة الدرامية ، لأن الخرس يجعل المرأة عديمة الحيلة بائسة ، وهى فى الواقع مخلوق مفترى سليط اللسان .

ولسان المرأة كشعر شمشون هو سر قوتها ، فإذا شاهدنا المرأة خرساء نتعاطف على الفور مع « بلوتها » المأساوية .

أما خرس الأزواج ففى رأيه حقيقة قديمة قدم الأزل منذ أيام أبينا آدم وأمنا حواء ، فكل زوج أخرس بالضرورة ، و« الخرس ليس خرس اللسان يا حبيبتى » .

استطرد زوجى ثم أضاف قائلا : « إنه اختيار الزوج العاقل الحكيم ، العليم ببواطن مراكز القوى الزوجية » .

زلزلتنى المفاجأة ..

كل هذه السنوات وأنا صاغرة لا أشكو ولا أتبرم ..

كل هذه السنوات وهو يتعمد ألا يرد على أسئلتى مع سبق الإصرار والترصد ..

كل هذه السنوات وأنا أعيش فى « بُلَهْنية » معتقدة أن صمت زوجى هو صمت الحكماء ..

ياشهريار العزيز .. بقلبى لا بلسانى .



اكتئاب « بالثلاثة »

قيس عنده اكتئاب .

هكذا قالت ليلى ، وقيس هو الاسم الحركى الذى كنا نطلقه عليه أيام الحب الذى كان . وقيس لا يتحدث إلا بالعربية الفصحى وبأبيات الشعر العاطفى .

كنا نحسد ليلى عليه . وكانت الغيرة تنهش قلوبنا على هذا الرجل العملة النادرة و .. « اللقطة » .

كانت ليلى تعيش أحلى قصة حب ، وكنا نعيش قصص الغدر والهجر والصدمات والخيانات ! تزوجت ليلى من قيس ، وعاشا فى تبات ونبات وأنجبا بنات وبنات . ولم يفقد قيس رومانسيته العنيفة بعد الزواج ، ففى الصباح يقول لها : صباح زهر البنفسج ياقرنفلتى المتوهجة ، يامهجة الفؤاد ، يا شقيقة الروح من جسدى ، هيا نحتسى كوبا من الشاى مع طبق الفول بالزيت الحار مثل حرارة حبك فى قلبى.

ومع مرور الأيام أصبحت عواطف قيس قاتلة ، زهقت ليلى. فقيس مازال يعيش « فى كوكب تانى » ومن ثم أصبحت تتعامل مع الهيمان الولهان بروح الدعابة اللاذعة ، فتقول له : هذا هو ما نأخذه منك يا رجل .. بالله عليك اذهب إلى الجمعية ، فنحن فى أمس الحاجة إلى الزاد من السكر والأرز واللحم الطازج والبطيخ .

عاشت ليلى مع المتنبى فى الصيف وأبى العلاء المعرى فى الشتاء،

ومرت الأيام .. حتى أصابه الاكتئاب ! فوجئت ليلى ذات يوم بقيس يقول : فقدت القدرة على التفاؤل ، لا أدرى ما الذى أصابنى ؟ يعترينى شعور بالحزن والكآبة ، أريد أن أفصح لك عن مكنونات النفس البائسة لكنى لا أستطيع ! أصبح البوح حادا كشفرة موسى الحلاقة يمزق وجدانى إربا ، واليأس يهوى على مهجتى الملتاعة كمعول ثقيل مثلوم الحافة .. لا أستطيع الحياة فى غابة الوحوش الضارية ، أنا يائس .. مبتئس .. مكتئب وقلبي حزين !

وليلى حائرة لا تدرى ماذا تفعل مع قيس الكئيب .. وتلعن اليوم الذى تزوجت فيه هذا الرومانسى المجنون . تنعى حظها المائل وقيسها مازال فى سلم الحياة « محلك سر » . وأزواج صديقاتها يرفلون فى مكاسب دنيا الكمبيوتر والمقاولات والمستشفيات التخصصية وتوظيف الأموال ، وقيس يحارب طواحين فواتير حضانة البنت الصغيرة والنور والتليفون والجزار ، والمدير العام مازال يواصل عمليات القهر اليومى بنجاح كبير ، وأطفال الحجارة يحاربون وحدهم قوى الاحتلال الإسرائيلى ..

عاش قيس اكتئابه حتى الثمالة .. إلى أن سمع الخبر .. الفريق القومى فى كأس العالم .. قال لليلى : اشتعلت جذوة الأمل فى مكنوناتى .. فأنا لم أعرف منذ زمن بعيد طعم الفرح الشهى ، تعودت على طعم الهزيمة المرير .. أتوق إلى لحظة الفرح الحميمة .. إلى لحظة انتصار على الزمان .



خرج إلى الشارع ليلة التعادل العظيم مع هولندا ..
لزم البيت ليلة التعادل مع ايرلندا .

طلق قيس ليلى .. ليلة الهزيمة من انجلترا .

ضحيت هنايا .. فداك !

دارت حول نفسها كنحلة أصابها مس من الجنون .. ثم انقلبت وتدحرجت وتهشمت ثم انقلبت رأسا على عقب .

كان ذلك فى يناير .. شهر الثلوج فى واشنطون .. الشهر الذى تصبح فيه الطرق مصائد من الزجاج وتصبح فيه السيارة لعبة فى مهب الريح .. وكنا داخل لعبة .

نظرت حولى فى ذعر ، تدوى فى أذنى سيمفونية من الآهات والتأوهات ، تحسست زوجى المكوم بجوارى ، فأنبأنى بآهة من مقام « حجاز كار » بالخبر :

ـ آه آه .. رجلى انكسرت ..

أجشهت ببكاء مذعور ، صرخت صديقتى التى تجلس فى المقعد الخلفى تنادينى : هيا نخرج من النافذة ، أسرعى ، سألتها عن زوجها ، فأجابت باقتضاب : لست أدرى ربما مات .. هيا بنا ننجو بحياتنا .. وقد فعلت .. وحسمت !

أصوات من حولى وهمهمات وصرخات تنادى .. اخرجوا من السيارة .. السيارة ستنفجر .. نظرت إلى زوجى فى هيام وقد استجمعت شجاعتى :

ـ لا ياحبيبى نعيش سوا أو نموت سوا !

هل رأيت نذالة صديقتنا إياها ، هذه هى لحظة الكشف الحقيقية فى حياتنا ، والناس معادن ، ثم إننى لا أستطيع ارتداء السواد وتقبل العزاء تلك أمور تضايقنى للغاية « لا لن أتركك .. أبدا » (رنت

العبارة كعنوان فيلم رومانسى أو رواية ليوسف السباعى فسعدت ببلاغتى أيما سعادة) .

ـ إنهضى يامجنونة .. لا وقت للنميمة والمحاضرات الأخلاقية .

ـ لا لا يازوجى إنها لحظة من لحظات العمر ، فلتكن لحظة البوح والمصارحة . الزواج مشاركة فى الحلوة والمرة وقد حان الوقت .. (الرجل يتأوه ولا أدرى إذا كان من الألم أو الغيظ) هل تذكر ياحبيبى عندما أهديتنى قرنفلة بيضاء أول مرة التقينا .

ـ بلا بيضاء ولا حمراء .. إنها لحظة سوداء يا امرأة .

ـ فى الهند يا حبيبى يحرقون الزوجة مع زوجها المتوفى حتى تتعانق الأرواح فى « وفاء إلى الأبد » « عنوان فيلم رائع آخر » .

ـ أستغفر الله العظيم ، نحن لسنا فى الهند ولا السند ، نحن داخل قنبلة موقوتة ، فلتنجى بحياتك أيتها المعتوهة من أجل الأولاد ..

اقتربت الأصوات من حولى .. صرخت : أرجوكم انقذوا هذا المسكين أولا .. هو أولا (تذكرت أغنية عبدالوهاب .. ضحيت هنايا فداك ، وهاعيش على ذكراك) .

ترى كيف سيخلد زوجى ذكراى . ذكرى التضحية النادرة والوفاء العظيم ؟

استغرقت فى تأملاتى الرومانسية .. سحبوه .. أنقذوه ، خرج مكسور الساق والجناح يعدو بعيدا عن القنبلة الموقوتة .. وعلى بعد نصف كيلو .. تذكر فجأة قائلا :



ـ لا تنسوا ، المدام مازالت فى السيارة !

نائم .. ماشافش حاجة !!

استلقيت فى كسل أشاهد « شاهد ماشافش حاجة » للمرة الألف ، فى محاولة لتطبيق نظرية الضحك قبل النوم يطيل العمر ، والحمد لله زوجى لا يمانع ولا يعترض على جلسات الفيديو بعد منتصف الليل ، حيث أقنعته أنها جلسات للعلاج النفسى ، وحتى يتجنب مصائبى وثرثرتى وثوراتى ، أذعن لفكرة العلاج بالضحك ، وأقلم نفسه على النوم على صوت عادل إمام .. بل إن شخيره يصبح زئيرا يغطى أحيانا على صوت الفيديو ويعكّر عليّ صفو الجلسة العلاجية ..

فجأة لفت نظرى شيء يتحرك بسرعة البرق على سقف الحجرة .. تجمدت لحظات .. يا للمصيبة .. إنه ذلك المخلوق الهلامى اللزج الفظيع .. « البرص » دخل من الشرفة ، وحيث إننا فى الدور التاسع، تحت سطح عمارتنا العامر مباشرة ، وسطح عمارتنا حافل مثله مثل أقاربه من أسطح العمارات بكل أنواع الكراكيب والروبابيكيا .. وهى عادة مصرية موروثة تسرى فى دماء الناس .. فى البلاد المتحضرة يحولون السطح إلى حديقة غناء ، أما نحن فنجعل منها مقلب كراكيب .. دولاب قديم مهشم ربما ينفع « ساعة عوزة » وبراميل فارغة ربما تصلح لإخفاء جثث الأزواج الخونة وهكذا.. نعود لحكاية البرص اللئيم القادم من بلاد الكراكيب .. وهنا أعترف أن نقطة ضعفى فى الحياة هى هذا المخلوق الغريب .. منظره يرعبنى ، تصيبنى حالة من فوبيا البرص .. يثير فى نفسى حالة من الغثيان والرغبة فى القيء المصحوب برعشة .. فتحت فمى صارخة بكل قوتى فلم يخرج أى صوت .. من فرط الذعر أصابنى الخرس

وتيبست أو على الأصح تأسمنت عضلاتى (وهو اشتقاق اخترعته خصيصاً لتوصيف حالتى أمام البرص) وبعد أن أصابنى الخرس والشلل . تمكنت بأعجوبة من نغز زوجى بأظافرى الطويلة حتى يستيقظ وينقذنى .. فتح نصف عين متسائلا ، فهمست بعد لأى : انظر ، عاد يغط فى نومه تاركا إياى فى متاهة الرعب وعادل إمام يكرر : متعودة ! جمعت أشلائى ونهضت أستدعى بقية أهل البيت كى يقفوا بجوارى فى محنتى .. استيقظ الجميع من النوم وبدأنا جميعا أنا والوالدة والشغالة (كلنا نساء) فى عزف سيمفونية صراخ وعويل وانضم إلينا الصغير يبكى مذعورا ، وبدأنا معركة القضاء على البرص .. أتينا بعلبة مبيد حشرى ووجهناها بقوة تجاه البرص الذى كان يتربص بنا فوق رأس زوجى النائم .. أفرغت العلبة ونحن نهرول وراءه فى أنحاء الغرفة .. كاد زوجى يختنق من رائحة المبيد لكنه لم يحرك ساكنا ، وأخيرا سقط المخلوق السخيف على الأرض وكنا قد تسلحنا بالشباشب والمقشات ، لكننا وقفنا نصرخ خائفات والحمد لله « أخذها من قصيرها » وأسلم الروح مختنقا بالمبيد ! قلقت على زوجى .. فقد توقف الشخير .. لكن انتابتنى حالة غيظ من كل الرجال .. لو كان ذلك البرص نملة أيام الحب والوله والخطوبة لكان أقام الدنيا وأقعدها دفاعا عنى ضد النملة المجرمة .. أتيت بعلبة مبيد أخرى .. أفرغتها فى أنحاء الحجرة ومع سبق الإصرار والترصد ودوافعى واضحة ومقبولة .. الاحتياط واجب ، توقف زوجى عن الشخير .. وعدت لمشاهدة عادل إمام فى شاهد ماشافش حاجة .. وأطلقت ضحكة عالية عندما قال عادل إمام وهو رجل مثل كل الرجال : ده أنا غلبان..



شهرزاد فى لندن (١)

طالبت شهريار بقضاء الأجازة الصيفية فى لندن أسوة بصديقاتى المرفهات المدللات ، وخاصة فى شهر الأوكازيونات ، فهاج وماج وأصر على أن نقضى الأجازة عند أهله فى البلد حيث الماء والخضرة والجاموس والناموس .. وكانت موقعة ساخنة ، شد هو الرحال بعدها مع القبيلة إلى كفر الجاموس ، وشددت أنا الرحال إلى بلاد الفرنجة ، بناء على دعوة صديقة مهاجرة ، وتطبيقا لمبدأ الأجازة الزوجية بمثابة عودة الروح للحياة الأسرية .

فى مدينة الضباب اصطحبتنى صديقتى الأنيقة الرقيقة إلى حفل عشاء أقامته النساء العربيات المغتربات لجمع التبرعات لأطفال الحجارة ، والأطفال المعوقين وأطفال المجاعة ، فتأثرت أيما تأثر من روح الانتماء القومية ، وأصيبت مشاعرى « بالانبعاج » إزاء موقف المرأة العربية وفرحت بأن الوطنية والإنسانية مازالتا بخير وعلى قيد الحياة فى لندن ، وجاءت المدعوات ، وهن زوجات المليونيرات والنماذج المشرفة للعربى الناجح فى الخارج ، جئن فى صورة مشرفة .. آخر صيحات الموضة الإيطالية والفرنسية على الأراضى الإنجليزية مما يؤكد أن ذوق الانجليز «عدم» وكن يتحلين بالماس والياقوت والمرجان ، فقلت لنفسى : هنيئا للأطفال المساكين . التبرعات اليوم ستكون « بالقفة » .

دار الحديث بالعربية والإنجليزية والفرنسية ، معذورات .. هذه هى الغربة وسنينها ! وأبديت إعجابى بطبق الأرز البخارى ، فقالت « مدام ملحم » : إنها لم تكن تعرف كيف تسلق بيضة ، لكنها ذاقت الأمرين على أيدى الخدم والطباخين وارد الفيلبين ، فتهورت ودخلت المطبخ وتلتقت الإرشادات خطوة خطوة من أختها فى « البلاد » وكان خط التليفون يظل مفتوحا بدءا من غسيل الأرز حتى ينضج على النار .. ومن ثم كانت تقدم لزوجها أغلى

عشاء فى العالم . أما « مدام خورى » فأصيبت بالصداع ، فأعطتها «مدام الغورى» قطرات من زجاجة صغيرة جاءوا لها بها من « البلاد » وكلفتها ألف جنيه فقط ! فسألتها عن هذا الدواء ، فقالت إنه يشفى من كل داء ، وأن القطرات من دموع « صخرة مبروكة فى الصحراء » و«الزجاجة لا تزال فى جيبها منذ سبع سنوات لا تنضب !» كلما استخدمتها تحل بها البركة فتزيد من حيث لا تدرى !

ثم دار الحوار التالى بين « مدام فتوح » و« مدام نوح » مما أثار فضولى ، أنقله إليكم بالحرف الواحد .

ـ عندك كام دا الحين ؟

ـ سبعة فقط !

ـ أنا عندى خمسة .. تعمل بالأزرار طبعا !

ـ لا .. لا .. الأزرار موضة قديمة .. أنا أفتحها ببصمة الصوت .

وهنا تملكنى فضولى فسألت : « إيه الحكاية بالضبط » ؟

واكتشفت أنهن يتحدثن عن خزائن المجوهرات فى البنك . ثم شكت «مدام فتوح» مر الشكوى من أزمة الخدم ، وأنه لم يعد لديها غير ثلاث خادمات فليبينيات .. وواحدة فقط لا غير .. سيرلانكية .. أما السائق المسكين فيقوم بدور « البتلر » أو مدير المنزل .. والحياة أصبحت صعبة فى المهجر .. والعيشة ضنك !

قلت لنفسى : أبشرى .. سبع خزائن و « بتلر » ، التبرعات ستكون «بالزكيبة» .. وهنيئا للأطفال البائسين ، فخاتم « مدام وردانى » يشترى جبل حجارة ، وإسورة « مدام عسقلانى » تشترى عشرة آلاف كرسى متحرك للمعوقين وكردان « مدام كردانى » يشترى ألف طن قمح لأطفال المجاعة ..



أعلنت « مدام دهب » بكل اعتزاز أن التبرعات وصلت ألف جنيه استرلينى .. « يادوبك » ثمن زجاجة دموع الصخرة !

ويا أطفال العالم .. الغربة صعبة !

شهرزاد فى لندن (٣)

الحرية حلوة بطعم العسل بعيدا عن قيود العالم الشهريارى .. أصحو وأنام حينما أشاء .. أتسكع فى الشوارع أمام « فتارين » المحلات دونما زجر أو توبيخ ، لا أحمل هم الإفطار ومسئولية الغداء وحيرة العشاء ، ساندوتشات العيال ، ومشوار دكتور أسنان الولد الصغير ، ودروس حساب ملحق البنت ، وزيارة بنت خالته المريضة ، وشراء هدية عيد ميلاد بنت عمه ، وحضور أربعين ابن عمة عديل زوجة أخيه !

الحرية حلوة بالبنطلون الجينز ، والحذاء الكاوتش والوجه المغسول .. دون توجيه تهمة الإهمال القصوى فى المظهر الشهرزادى . الحرية حلوة بدون أقنعة المجاملات ، وسلاسل الواجبات ، وجنازير الالتزامات . الحرية حلوة حينما أخلع عباءة الخوف من القيل والقال وكلام الناس ، ودخلت وخرجت ، وأكلت ولبست ، وتأخرت وتبرجت .. ولبست البنطلون !

شهرزادك ـ ياعزيزى ـ فى أجازة من مجتمع الحسابات ، ودنيا الأصول ، ودوائر المفروض ، وزمن فعل الأمر على وزن « افعل ولا تفعل » ، وجدار لا يصح ولا ينبغى ولا يمكن .

جلست فى « الهايدبارك » أتأمل الطبيعة والناس : الناس فى حالها ، نسبة الفضول تكاد تكون معدومة فى دماء الخواجات . النظرة جريئة ، أما الفعل فمسئولية وحرية شخصية .

أقلنى أتوبيس رقم (١٠) فى طريقى إلى « أكسفورد ستريت » مقصد

العرب الأوحد ، جلس فى المقعد خلفى سائحان ، جميل أن تسمع اللغة العربية فى بلاد الفرنجة . لم يدرك الأخوان أننى عربية ، فانطلقا يتحدثان بحرية شديدة من منطلق « محدش فاهم حاجة » . كان الحوار مباراة سجال فى « فن البُرم » .. وقد بحثت فى اللغة الفصحى عن كلمة لها نفس المدلول فلم تسعفنى ثقافتى اللغوية ، ولا أدرى إن كان العرب القدماء قد عرفوا الرجل « البرمجى » أم لا ؟!. المهم : بدأ الأخ الزائر يحكى لصديقه عن « البنت الصاروخ » التى التقى بها فى البنك (بالتأكيد لم تتعد العلاقة أن صرفت له الشيكات) ، ثم انتقل إلى شريط الفيديو الثقافى، و مضى يشرح التفاصيل التشريحية لغصن البان الأفرنجى . وتخللت الحديث ألفاظ : الشهد المصفى ، القشدة ، المهلبية .. وتعبيرات خلطت بين الشره والتخمة ومخلوق اسمه المرأة . ولم يفته بالطبع أن ينعى العسل الأسود والباذنجان الرومى والكرنب الموجود فى بيته العامر !! رد عليه زميله قائلا : « ده لعب عيال يابنى .. يابنى أنا ذهبت إلى القهوة والبنات هناك (على قفا من يشيل) » .. وشال !

دق فى نافوخى إنذار : « إيدز .. إيدز » ، وسيعود إلى « الباذنجان » بالهدايا والإيدز .. الله يعطيه العافية .

للأسف لم يتوقف أخونا فى الحديث عند هذا الحد .. بل بدأ فى سرد تفاصيل السهرة الحمراء ، وملحمة اللحم الأبيض . كانت الكلمات أسياخا حامية تحرق كرامتى وكينونتى ، شعرت بالإهانة والخزى لمجرد إنى امرأة .

الإنجليز يجرمون النظرة ، ونحن فى حاجة إلى قانون يجرم فكرا وثقافة وسلوكيات وأسلوب تربية .. يومها ستكتظ السجون ..

التفتُ إليهما ، وسألتهما باللغة العربية :

أخى .. بالله عليك .. مسجد لندن فين ؟



شهرزاد فى لندن (٣)

يذهب شهريار إلى لندن بهدف غزو قلوب الشقراوات والحسناوات ، والإسراف فى النفقات ، وإثبات الذات على موائد اللعب والحانات . أما إذا اصطحب العيال وأمهم ، فإنه يلعن الالتزامات ، ويتخلص من هذا المطب بإرسال العيال إلى « الهايد بارك » ومحلات الساندوتشات ، والأم إلى السوق محملة بالعملات ، أو إلى الطبيب محملة بالشكاوى والآهات.

وللشوبنج سبع فوائد : الأولى هى صرف الأموال و« قص ريش الرجال » وهى قاعدة نسائية تعود إلى زمن جداتنا ، تقول : « قصقصى طيرك .. ليلوف بغيرك » !، كما أنها لعبة نسائية حديثة اخترعتها النسوة المجربات فى شئون الطلاق وطفشان الأزواج ، تقوم على أساس أنه إذا أنفق الرجل ببذخ على امرأته فإنه من الصعب أن يتخلى عنها ، لأنه فى اللاوعى واللاشعور تستوطن الفكرة الاقتصادية القائلة بأن « البضاعة » التى تكلف كثيرا لابد أن يكون « ثمنها فيها » ، وفى قول آخر : لا يهون عليه مادفعه من أموال ، وهذا إفراز عقلية مجتمع « البيزنس » والصفقات التجارية ، وهو منطق نسائى شرير .

أما الفائدة الثانية لممارسة هواية « الشوبنج » فهى « المباهاة » والإحساس بالتميز . وهى عادة استوردناها فى إطار التبادل الثقافى بين الدول المتخلفة . ففى محلات لندن الشديدة الغلاء ، تجد النساء العربيات والنيجيريات ، وقد انضمت إليهن من العالم المتقدم اليابانيات . لكن نادرا ماتجد الانجليز أو الأمريكان ، وإذا تهور الواحد منهم ودخل

«هارودز» أغلى محل فى إنجلترا ، تجده يشترى الخبز أو كويا تذكاريا يحمل اسم المكان ، ويؤكد أنه دخل « هارودز » مرة فى حياته ! والمرأة العربية تنفق ببذخ على الفساتين والأحذية التى تحمل « الماركة » مطبوعة بالحروف الأولى ؛ لإثبات هوية الفستان وكدليل قاطع على الانتماء للطبقة « الفوقية »! كما أن الماركة تقول للحاسدين : « لا تنظر لى بعين ردية ، انظر للى اندفع فيه »!

وقد وجدت نفسى فى موقف لا أحسد عليه ، فأنا أود من كل قلبى ممارسة الشوبنج الذى يجرى فى دمائى ، لكن الجنيه لا يأتى بما تشتهى شهرزاد ؛ فالأستاذ الإسترلينى يجلس أمام عملات العالم كله واضعا ساقا على ساق ، ويضرب العملات الغلبانة « بالبوت » الأسكتلندى . وبعد تحويل العملة السهلة إلى صعبة يصبح الشوبنج من المستحيلات .

ومن ثم قررت « الشوبنج بدون شوبنج » وهى نظرية اقتصادية ممتعة . أدخل المحل وأتفرج ، وأعاين وأجرب المقاس ، ثم أقول : واسع .. ضيق.. بس لو كان لونه أسود ! فيأتون به على وجه السرعة .. فأقول : حزاينى .. فيأتون بالأبيض .. فأقول : يتسخ بسرعة ! والأحمر فاقع لا يناسب البشرة السمراء وهكذا .. تفرج وتمتع ولا تدفع !

يكفى أن ترى أنيقات العالم العربى وهن يمولن الاقتصاد الإنجليزى بالجنيه والريال والدينار والدرهم ، وتحيا الوحدة الإسترلينية .

وبعد عناء الشوبنج أجلس لأستمع إلى نشرة الأخبار : الدولار والإسترلينى والذهب فى ارتفاع مستمر . ونساء العرب يشترون ماسات «فان كليف» وفساتين « فالنتينو » . ورجال العرب يشترون الدبابات والطائرات والمدافع الرشاشة للاستهلاك المحلى فى لبنان والكويت والعراق.



ولكه شوبنج فى شوبنج .. المهم النية !

حركة تحرير الرجل

طلقني.. طلقني.. طلقني.

وطلقها.

بعد خمسة عشر عاماً زواجاً، وثلاثة أطفال.. طلقها وانضم إلى زمرة المطلقين. جاء صديقي المصدوم المهموم المكلوم يشكو ويتألم ويتأوه، وقال: أنا رقم ١٤ في قائمة نادي المطلقين.. أربعة عشر زوجاً طلقوا زوجاتهم خلال الستة أشهر الماضية. ماذا حدث يا بنت حواء؟ أريد أن أفهم.. أيام زمان كانت المرأة ترتعد لدى سيرة الطلاق، والآن تطالب وتصر وتصرخ وتولول.. طلقني.. طلقني.. ١٤ رجلاً.. بره.. «أوت»، وأقل زيجة استمرت عشر سنوات و«قرطة عيال».

تصبت أسلحتي الدفاعية عن بنات جنسي، واستخدمت استراتيچية القصف السريع لرقبة الأزواج وتكتيك «ذبح القطة». وهذه نظرية هجومية اخترعها «سي السيد» في الزمن الغابر، حيث كان يزأر ويعطي العروسة «العلقة» التمام فتصبح عجينة طيعة في يده لا ترفع عينيها على مر السنين والأيام.

وقد أدركت بنت حواء مزايا تلك النظرية، فأصبحت تستخدمها بوسائل أنثوية معدلة، وخاصة أن زمن «سي السيد» ولَّى وراح وراحت سنينه! أما الوسائل الشهرزادية في ذبح القطة على الطريقة الحديثة فتتلخص في الغضب و«لوي البوز» وعقد الحاجبين وتقطيب الجبين أو ما يُعرف في لغة الأزواج بأن الهانم «مأموصة» (وأصل

الكلمة، لا تؤاخذونى، مرتبط بغضب الحمار ورد فعله الجسمانى إذا داس له مخلوق على طرف) . وعليه فلابد من التدليل والمصالحة، وإذا كسبت الزوجة المعركة الأولى تكون قد ضمنت بذلك أن رغبات سعادتها.. أوامر!

أما الخطوة التالية فى استراتيجية «ذبح القطة» فهى «الذهاب إلى ماما »، وفى هذه الحالة على الزوج مواجهة المدفعية الثقيلة، وإذا كان الأستاذ لم يقدر على واحدة.. فهل يستطيع مواجهة «فرقاطتين»؟ وعلى ذلك فلابد من تقديم فروض الولاء والطاعة والتوبة قبل أن ترميه المقادير وتستعمل معه فيما بعد سلاح العيال الفعال.

المهم.. نعود إلى الاستراتيجية الشهرزادية فى الدفاع عن بنات حواء. قلت لصديقى المغموم: يا عزيزى المطلق، لابد أن الرجل هو السبب.. لأنكم يا معشر الرجال خونة، عيونكم وعواطفكم زائغة، وأيديكم وقلوبكم شحيحة، « والشهرزادة » منا لا تحب الخائن أو البخيل بعواطفه قبل أمواله.. لابد وحتماً وبالتأكيد، غلطان غلطان يا ولدى.

أقسم صديقى أن زمرة المطلقين المساكين كلهم من فئة «لا يهش ولا ينش»! وأن الزوجة طلبت الطلاق لأنها تعانى من الملل، فقد مات الحب وتوفى الغرام، ولا تستطيع الحياة مع رجل ممل.. غتت.. ياساتر، لا يشخط ولا ينطر، ويبدأ دائماً بالصلح ولا يتركها تشوى على نار القلق والخوف، زوجات اليوم يطالبن بالزوج «الحمش» القبضاى.. سى السيد!

ومنذ تلك اللحظة قررت الانضمام لحركة تحرير الرجل.

أكتب إليكم من العصر الحجرى..!

التشخيص : حالة عجز .. عجز عقلى

أنا مصابة بحالة عجز عقلى ، توقف العقل عن الاستيعاب ، اختلطت المعانى والتواريخ والمعالم والأماكن والأزمنة ، فى رأسى يدق ناقوس الرعب وتهدر طبول اليأس .

فى الصحيفة اليومية ناقد كبير يؤنب ويوبخ من تسول له نفسه الهجوم على القومية العربية ، يقول العيب ليس فينا ولا فى حبايبنا إنما فى القوات الأجنبية . يعتبر أن تأنيب الضمير انهزامية ومؤامرات استفزازية ونغمة تشاؤمية .. يدعو إلى وحدة الصف وتكثيف المساعى وعبارات ترجع إلى نشرات العصر الحجرى الإخبارية .

يا أيها المتفائل .. أنا متشائمة حزينة انهزامية مسحوقة .. عربية!

ينتابنى شعور دائم بالخجل المؤلم ، أحلم أحلام يقظة بأنى مواطنة سويدية.

عرفت اليوم أنى لا أساوى مليما واحدا فى سوق الإنسانية .

على شاشة التليفزيون خرجت ايرلندا عن بكرة أبيها تستقبل الايرلندى الرهينة العائد من لبنان بصحبة وزير الخارجية . كورت فالدهايم رئيس النمسا سافر ليحضر الرهائن النمساويين ويتمم عليهم واحدا واحدا ! أمريكا والدول الغربية لا يمكن أن تضرب ورعاياها رهائن .. لم يلتفت أحد إلى أن المسألة بالنسبة لهم هى حياة السبعة آلاف رهينة فقط ، وليست حياة ملايين من البشر مصيبتهم أنهم شعب عراقى .. فلو لم يكن هناك رهائن ، فلا مانع من إبادة عشرين مليونا !

شيء مخيف أن تدرك أنك صفر كبير .. شيء محرج .. شعور مرير مغموس بالمهانة .

محرجة أنا أن أعلن عن عروبتي .. عن لغتي .. عن هويتي ..

موصومة أنا بالعجز والغباء والتخلف ، نقلوني من سلم الإنسانية إلى سلم الرخويات .

لم يدرجوني حتى في سلم الحيوانات .. فالكلب مخلص وفي والأسد شجاع جسور ،،

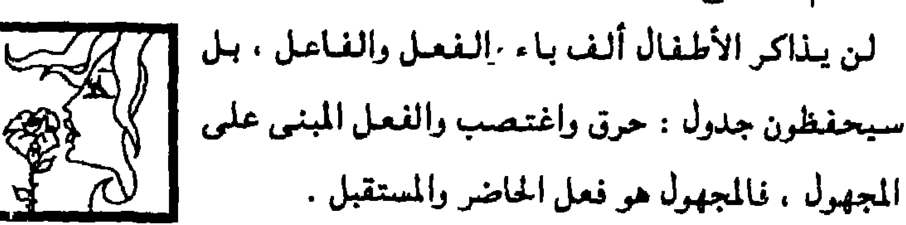
عربية أنا .. أتكوم كيانا هامشيا هلاميا رخوا . قالت لي صديقتي المسافرة : الحمد لله شعري مصبوغ ولساني طليق بلغات حية ولن يعرف أحد أني عربية .

محرجة أنا ياناس .. ليس لأن هناك معتوها فلت من بين جدران مستشفى الأمم المتحدة ، ليس لأنه طاغية ديكتاتور قام بعملية سطو .. بل لأن قانون الكرة الأرضية يقول بأن لكل فعل رد فعل ، أما عندنا فلكل فعل .. لا رد فعل على الإطلاق !

نحن نعيش في مساحات السلبية ونسبح بمفاتيح الصبر ونعشق فن الفرجة .

الفرجة على حرث الأطفال بجنازير الدبابات في صبرا وشاتيلا ، الفرجة على النضال نظام خمسة نجوم ، الفرجة على أطفال تحارب بالحجارة .. أصبح الطفل هو الفاعل وهو الضحية .

اليوم لن يفرح أطفالنا ببذلة المدرسة بل ببذلة واقية من غاز الخردل .



لن يذاكر الأطفال ألف باء .الفعل والفاعل ، بل سيحفظون جدول : حرق واغتصب والفعل المبني على المجهول ، فالمجهول هو فعل الحاضر والمستقبل .

عقدة .. و « شنيطة » !!

وبعد طول انتظار ، وتوقعات .. وصدمات وناقوس الخطر يدق ٣٤ دقة ، دخلت منطقة اليأس ومستنقعات الخوف وكهوف القلق المفزعة.

٣٤ سنة وخطبوها اتعززت ، ٣٤ سنة تنطح سنة وبعد طول انتظار جاء العريس .. الأمل .. الأسرة .. الأطفال .. سترفع رأسها بين البنات ، وتدق الدفوف .. ومبروك عليك يامعجبانى ياغالى.. وانفك النحس والعقدة المعقودة المعقدة !

وبدأت المداولات .

بنتنا حلوة وناجحة ومرموقة ، ست البنات وانت تطول ؟ المقدم ينطح المؤخر ولا تتأخر ولا تتردد ، والشبكة تشبك ملوك ، والمهر مهر

ميرات ، وأنت تطول ؟!

ابننا جدع ولا كل الجدعان ، يستحق وزنه دهب وياقوت ومرجان . تمناه بنات الأسر والعلاقات ، قادر ومقتدر ، وهى تطول ؟ صاحبة لأربعة والثلاثين ربيعا ينطح ربيعا ولا داعى للإسهاب !

واستمرت المداولات .

ووصلت الأمور إلى العقدة و«الشنيطة» عقدة المؤخر ؛ فنحن نهتم بالطلاق قبل الزواج ، والمؤخر اعتراف ضمنى بأننا موافقون جميعا على فكرة الطلاق المدفوع الأجر ، واعتراف صريح بأننا مدركون لحقيقة أن هذه الزيجة على كف عفريت يضع يده فى جيبه .

أما « الشنيطة « فكانت حدوتة الشبكة المدفوع فيها « شىء وشويات » سوف تقدم على صينية من فضة ، وتدور دورة لولبية يوم الكتاب لتفحصها العيون الفضولية .. الذهب عيار ٢٤ يشهد بكرم القادر المقتدر .. وهى تشبك الجيب لكنها لا تشبك القلب أو العقل !

تقليد متخلف .. إحراج للبنت .. أغنياء حرب .. وخناقة تدب !

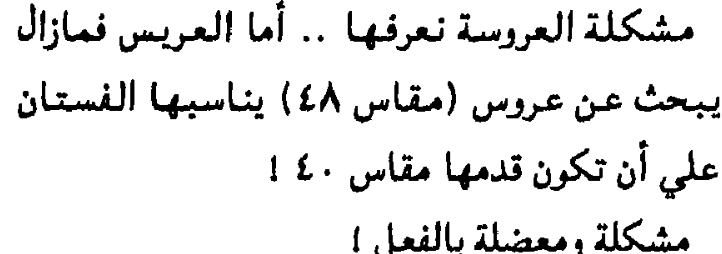
والبنت تلطم الخدين وعصفور فى اليد ..

وجاء اليوم الموعود .. ولم يحضر أحد !

طفش العريس بالمقدم والمؤخر والشبكة والفستان وترك الفضيحة بجلاجل ..

مشكلة العروسة نعرفها .. أما العريس فمازال يبحث عن عروس (مقاس ٤٨) يناسبها الفستان علي أن تكون قدمها مقاس ٤٠ !

مشكلة ومعضلة بالفعل !





خيبة «أبو السباع»!!

«إسماعيل يس» هو مثلى الأعلى فى الحياة!

تدحرجت هذه العبارة من فمى بسرعة الصاروخ دون تفكير أو تدبير، وكان هذا هو ردى على الشاب الوسيم الذى أصبح زوجى فيما بعد، عندما سألنى فى رومانسية عن مثلى الأعلى.

ربما كان يتوقع أن أقول له چولييت التى ضحت بنفسها من أجل عيون روميو. أو ناعسة التى صبرت على الغلب والمر من أجل رموش أيوب.. أى شيء «يجر» رجل العريس إلى عش الزوجية ويثبت حسن النوايا.. لكنى اعترفت.. «سُمعه» هو مثلى الأعلى.

أما لماذا تزوجنى الرجل بعد هذا الاعتراف العبيط.. لا أدرى؟!

ربما أدرك أن الحياة كئيبة ومملة ورتيبة، وأنه لامانع من أن تكون زوجة المستقبل «غاوية» نكت وضحك وفرفشة.. لكنه بالتأكيد أدرك فيما بعد غلطته الجسيمة، عندما اكتشف أنى من هواة النكد والتراچيديا والمسلسلات التليفزيونية.

لو كنت فكرت قبل أن أنطق، كما نصحتنى خالتى الحكيمة «حكيمة»، لكنت اخترت «شكسبير» أو «بيتهوڤن» من قبيل التأثير على ميول زوجى الشاعرية الموسيقية «الرهيفة». أو كنت قد اخترت «صلاح الدين الأيوبى» للعزف على أوتار السياسة والوطنية لدى زوجى الشورى. أو ربما كنت قد اخترت «شجرة الدر» المرأة

الزعيمة.. لكن الحمدلله أنى لم أفعل، فالرجال لايحبون المرأة القوية، كما أنها كانت منحوسة، مات زوجها بعد عذاب ولحقت به مضروبة «بالقباقيب».. سلام قول من رب رحيم.

على كل الأحوال كانت اختياراتى البديلة لمثلى الأعلى فى الحياة.. كلها من الأموات!

شىء مثير للعجب.. هل انقرض الأبطال فى هذا الزمان؟ أنظر حولى فأجد المغتصب والمحتل والغادر والمتهور والسلبى والمستسلم والفهلوى والمدعى والكاذب والزائف، وأجد شخصيات صغرى فى مناصب عظمى، وأجد بطل هذا الزمان قد تقلد رتبة «لايهش ولا ينش»، أو من فئة الإنسان «التيراميسين» نسبة إلى مرهم العيون اللزج الذى لا لون ولا طعم ولا رائحة له.

ومن ثم أعود إلى قاعدة «أبو السباع» سالمة.

«سُمعه» جسّد شخصية الإنسان التلقائى الطيب الصادق، نموذج للحياة بالفطرة والأصالة. لم يقلد أحداً ولكن العشرات قلدوه. ولم يستطع أحد أن يجمع فى شخصية واحدة كل هذا التسامح والعشق للحياة والوجود.

شخصية المحب المتفانى والصديق المخلص والرجل المعطاء، وكان دائماً إنساناً «على نياته». وإن كان الناس فى هذا الزمان يعتبرون أنها صفة مرتبطة بالخيبة والسذاجة، إلا أن «نية سُمعه» كانت دائماً نظيفة نقية.

مازالت خيبة «سُمعه» تضحكنى من القلب..

ومازالت «فهلوة وفصاحة ناس» تبكينى «بدل الدموع دم».



عين القطة

لايمكن أن أنسى ذلك الفيلم الغريب.. «عين القطة»!

تمر الأيام والشهور والسنون، ومازلت أتذكر كل مشهد وكل لقطة. لم أكن أعرف أنه من أفلام الرعب، وأنا أمقت هذه النوعية لأنى أرتعد من خيالى وأخاف من الهوا، وتترك ركبتى موقعها فى ساقى إلى كعبى حين أسمع صفير الريح.. وكما يقول زوجى فإنى أخاف من البلح الأسود و«العيش الفينو»! لكن «عين القطة» خدعنى، وبدأ بداية مثيرة جعلتنى أعتقد أنه فيلم مغامرات كوميدى لطيف ظريف فى هذا الزمن المخيف.

يفاجئك، للوهلة الأولى، أن فكرة الفيلم هى أفضل طريقة للإقلاع عن التدخين! ونعرف أن هناك عيادة خطيرة تقدم نوعاً جديداً من العلاج الفعّال مائة بالمائة، ومن ثم أيقظت زوجى من وصلة الغطيط المنفردة حتى يشاهد معى هذا الفيلم الهادف.

فى البداية يطلب الطبيب من البطل أن يحضر زوجته فى الجلسة القادمة، قلت لزوجى: «ياسلام. هكذا يكون التحضر؛ فاحترام الزوجة فضيلة يا إخوان». وحضرت المدام شخصياً.. دعا الطبيب الزوجين إلى الدخول فى حجرة مغلقة، بها قفص حديدى ضخم تنزوى داخله قطة مسكينة، مكسورة الذيل ومأسوف على شبابها، وتبدو فى حالة من العته والبله والذعر الشديد! عيناها متعانقتان فى حَوَل غريب،

وفراؤها مشعث. ضغط الطبيب المعالج على زر بجواره أدار به دائرة كهربية متصلة بقضبان القفص الحديدية، فإذا بالقطة تصاب بمس من الجنون الملتاث، تتخبط مرتعدة الأوصال فى عنف بين القضبان ومواؤها المفزع يشق صمت الجدران. تحولت القطة إلى كرة حية من النار والألم، وكان الطبيب يتحكم فى قوة التيار الكهربى وهو يبتسم، وكأنما يعزف «كونشرتو» الوحشية هذا على آلة الكمان. تسمر الزوجان فى حالة من الذهول والذعر، داهمت الزوجة نوبة عويل، وارتمت تتوسل للطبيب أن يتوقف عن جلسة التعذيب الوحشى!

اخترقت نظراته الثلجية الصقيعية عيون البطل المذعور وهو يقول: هذا هو ماسيحدث بالضبط إذا عدت إلى تدخين السجائر بعد الخروج من هذه العيادة، ولدينا عيون سرية تراقبك فى صحوك ونومك. سنعرف كل صغيرة وكبيرة عنك، وستدفع زوجتك الثمن مثل القطة!

خرج الزوجان المرعوبان بعد أن وقعا فى فخ العلاج بتعذيب وقتل الزوجات. ولم تمض أيام ووقعت الطامة الكبرى.. ودخن الرجل سيجارة فى لحظة ضعف. وباقى الفيلم عن محاولة الزوجة الهروب من المصير الأسود.



نظرت إلى زوجى الذى كان مستمتعاً بالمطاردة المثيرة.. أما أنا فحملقت فى الفراغ ولم أر سوى عين القطة.. المذعورة!!

يا.. ليلة بنفسجى!

غداً.. تذهبين إلى المستشفى لإجراء فحص دم.. الإيدز.

وعاد لقراءة الصحيفة.

حملقت وبرقت.. وتأتأت وثأثأت.. وانتفضت الكلمات على طرف لسانها مذعورة.. إيد.. إيد.. إيدز؟؟

ثانية ومرت.. كلمة.. مجرد كلمة.. اختلفت بعدها الحياة واختفى معها الوجود.. تلاشت الأرض تحت قدميها وظلت تهوى.. تهوى إلى ما لانهاية.

من أين يأتى لها الإيدز ياعالم ياهوه؟!

منه! انفجرت قنبلة الميم والنون والهاء فى شرايين مخها، وشب حريق داخل رأسها.. فى لحظات وجدت وجهها مضرجاً بالدماء.. تفجرت الدماء من أنفها ساخنة حارقة واختلطت بدموعها الملتهبة.. هرولت إلى الحمام ووقفت بملابسها تحت شلال الماء البارد.. تغتسل.

زوجها.. أبو أطفالها.. وقع بيده حكم الإعدام على أسرة بأكملها.. حكم على نفسه وعليها وعلى الأطفال والجنين فى بطنها بالموت واليتم مع سبق الإصرار والترصد.

إيدز؟! الإيدز مرض لا يأتى.. لكن يسعى إليه الإنسان.

متى وكيف وأين ولماذا ومن؟

عندما سافرت لقضاء الأجازة هى والأولاد لم تكن تعرف أنه سيفعلها. لقد عاشا فى هذه العاصمة الأوروبية مايزيد على عشرة أعوام ولم يحدث مرة أن... ومن يدرى؟ ربما فعلها من قبل.. الخائن. لم يكن يرفع عينه فى امرأة.. كانوا يحسدونها ويطلق عليه

الأصدقاء لقب الطفل البرىء.

امرأة؟ ومن قال إنها امرأة.. ياليلة سوداء.. رجلها.. حبيبها؟؟ انتهك رجولته وهتك أنوثتها وذبح أبوته!!

لا.. لا.. مستحيل.. ربما تكون حقنة ملوثة.. يقولون إن حقن المخدرات الملوثة تنقل العدوى.. مخدرات؟ ياليلة بنفسجى!!

لا.. لا.. مستحيل.. حقنة ملوثة.. ربما مرض؟

لكنه صاغ سليم.. والصحة «بمب» والحمد لله، لا سكر ولا ضغط ولا حتى قولون أو صداع.. لم يحدث أن استخدم الحقن فى حياته من قبل.

قامت فى عقلها معركة الاحتمالات والشكوك والظنون.. إنها لا تشعر بالغيرة.. الغيرة فى مثل هذا الموقف شعور محترم واعتراف مستتر بالحب.. وهى مازالت تهوى وتغوص فى بحيرة الاشمئزاز وتغرق فى بحر الرعب المظلم.

فجأة أدركت أنه خائف ومذعور وغارق هو أيضاً فى دوامة الخزى والأنانية. لايجرؤ على إجراء الفحص.. لايجرؤ على مواجهة عار اللحظة.

فى الصباح لملمت خيوط الأمل الموعود واخترقت مساحات المجهول والموت والعدم..

ـ سليمة والحمد لله.. وإن كانت نسبة السكر عالية للغاية.. هل داهمتك نوبة حزن مفاجئة؟

ـ نعم أيها الطبيب المداوى.. فهل عندك دواء للإيدز النفسى؟



ربنا على المفترى!

والله كنت أريد أن أصبح نائبة فى مجلس الشعب.

لكن كيف؟ فالحزب الوطنى كان مقتراً فى ترشيح «الستات»، ولا أدرى ماهى النظرية؟! على كل الأحوال من قال إنهم كانوا سيرشحوننى؟! وخاصة أنى مستقلة عنيدة ومن حزب الدماغ الناشف والتمسك بالرأى والجدال والنقاش حتى النزع الأخير!

فكرت فى المعارضة، لكن وجدت قلبى يتمزق بين المثالية والتقدمية والعدالة الاجتماعية والليبرالية والرأسمالية الوطنية و«هَنا» الانفتاح. كما أننى «ست حرة» من «عامة الشعب».

ومن ثم لم أنضم لأى حزب من أحزاب المعارضة، وهم بدورهم «عاندوا» ولم يشاركوا فى الانتخابات.. والحمد لله على استقلالى التام فى حزبى الملأكى الزؤام.

وكيف لى بترشيح نفسى «مستقلة» وأنا لا أملك الأموال ولا الصعايدة ولا القبضايات. فكرت فى استقطاب حزب «للنساء فقط» كمناورة شريرة للحصول على الأصوات، فاكتشفت أن النساء يصوتن على الرجال، أما الرجال فلا يصوتون أبداً للنساء!

قالوا لى: هناك شخصية وهمية تتلقى الأتعاب وتقوم لك بالمهمة المستحيلة دون جولات انتخابية أو خطب عصماء، وخاصة أننى خائبة

فى ميدان المدح أو الهجاء ولا أعرف الوعود والعهود. ولما كانت الأتعاب المطلوبة تقدر بأرقام فلكية، كشفت رأسى ووقفت أطلب من الله الانتقام من كل مفتر جبار وقف فى طريق طموحاتى السياسية.

فقدت الأمل، ولم يتبق لى إلا الحلم..

حلم الحصانة البرلمانية..

بصراحة ولا أخفى عليكم نواياى الشريرة، لقد كان هذا هو هدفى المنشود.. شوية حصانة كتير علىَّ ياناس..

بينى وبينكم، والاعتراف بالحق فضيلة، طبعاً أنا لم أكن أفكر فى خدمة الجماهير، والواجب الوطنى، والعطاء والانبعاج السياسى، كل هذا كان فى إطار التمويه والاستهلاك المحلى.. شوية حصانة وكنت حققت المراد و«عملت البدع» فى العباد. كنت سأفيد وأستفيد، ولامانع من أن يطول الجماهير من الحب جانب.

كنت «سأكسر» إشارات المرور، وأركن السيارة فى الممنوع..

وما أحلى الممنوع.. وكل ممنوع.. مرغوب يا سادة!

خسارة وألف خسارة، ضاعت فرصتى فى أن أكون «الست النايبة»!

وضاعت فرصة الجماهير العريضة.. أيضاً.



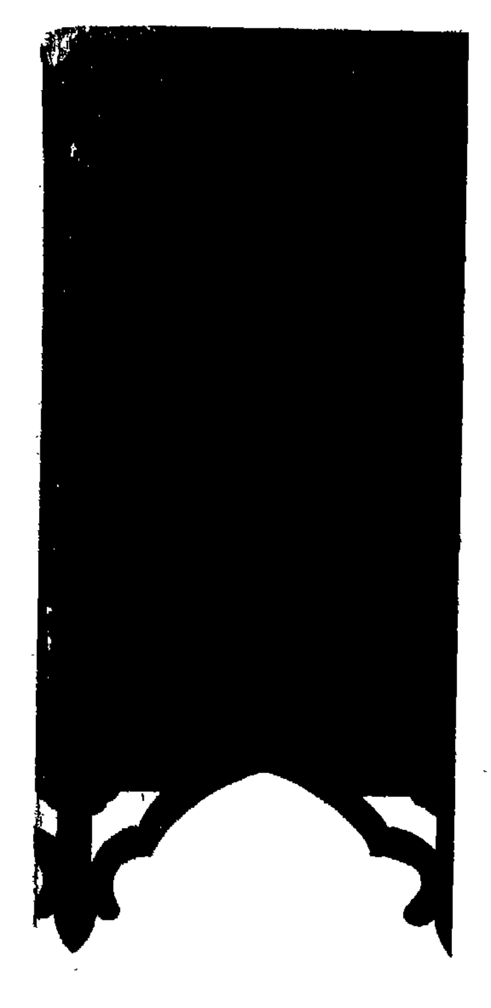
●● وأسكت عن الكلام المباح.

الفهرس

رقم الإيداع : ٩٤٠٨ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى : ٦ - ٠٠١٧ - ٥٩ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣





هى كل امرأة شرقية..

تلك التوليفة الإنسانية النادرة من القهر والشجاعة ..من الرؤية الثاقبة والذكاء الفطرى.. من الحب المستسلم والكراهية المستترة.. من اليأس والإقدام.. من الرضوخ والتمرد.. من الضعف والقوة!

هى كل امرأة شرقية..

سيدة التناقضات.. أسيرة عقل وآسرة قلب.. أسطورة الصراع الأبدى بين أنثى الحرملك مكسورة الجناح، وصاحبة صولجان الكلام المباح!

عزيزى شـهريار..

هذا الكتاب قراءة سرية بصورة علنية لأعماق شهرزاد.

عزيزتى شـهرزاد..

هذا الكتاب رحلة سرية مع أحزان وأفراح امرأة شرقية خلعت نقاب الجهل والخوف.. لكنها مازالت مكبلة بأغلال التخلف.. قد يحصل عقلها على درجة الدكتوراه، لكن تظل ممارساتها الحياتية تتعثر فى مرحلة محو الأمية..

